العدد #17 | 20 أبريل 2024 | www.theeconomy.ma

إيران المغرب

حرب إيران وإسرائيل..

المأزق

امسح للولوج
الى الموقع

خميرة وطن

أكثر ما نفتقده، كمغاربة، في خضم هذه التقلبات والأمواج التي تتقاذفنا وتجعل التطلع إلى مستقبلنا أشبه بالنطر إلى الضباب، هو تلك الأنوار الفكرية والعلمية التي تقرأ الذات وتشخصها وتضع الأصابع، على مكامن الداء فيها، ومن ثم تساعدها على الخروج من مناطق الاضطراب والعواصف بسلام.

ولأن هذه القراءة لا يمكن أن تتم دون استحضار للسياقات والجذور والامتدادات، فإنني شخصيا أرتاح للمؤرخين حين يبادرون إلى قراءة الحاضر، لأن دارس التاريخ يحوز عينا لا يملكها محترفو العلوم الأخرى، وهي تلك العين التي لا تلغي باقي الحقول والمقاربات، لكنها تسعف في حسم بعض من هوامش النسبية والغموض التي تبقيها الدراسات والأبحاث العلمية.

لهذا أجد أن كتيبا صغيرا صدر حديثا بعنوان "الشخصية المغربية، تأصيل وتأويل"، لصاحبه المؤرخ والأستاذ الجامعي الطيب بياض، قد لامس العصب الحساس في عمق الإشكال المركزي الذي تدور عليه أحوال المغرب والمغاربة منذ أكثر من قرنين، أي لماذا تأخرنا وتقدّم الآخرون؟ ولماذا فشلنا في تدارك تخلّفنا؟

يلامس الطيب بياض العصب الحساس لأنه يطرح السؤال بشكل مباشر ودون لف أو دوران، عدا ما تقتضيه أصول

> **"الخميرة المغربية" التي تشكّلت بفعل تمازج عناصر روحية وأخرى ترابية أنتجت هذه الشخصية المغربية**

الكتابة العلمية الرصينة من توطئة وتمهيد، حول من هو هذا الانسان المغربي الذي يراد له اليوم أن يخوض بدوره في محاولة النهوض وتدارك الموقف، بعدما فشلت أجيال من الأجداد والآباء؟ أليس الخلل في غياب هذا الانكفاء العملي على هذه الذات، ليس لتغييرها أو تطويرها، بل لفهمها وإنتاج ما يلائمها من حلول والوصفات واختيارات؟

كتاب "الشخصية المغربية" ترياق فعال يسعف كل من أرهقتهم تخمة الخطابات الفلكلورية التي زكمت أنوفنا حول معنى "تامغربيت"، هذه الكلمة التي تلقّفها البعض من بين ثنايا أحد الخطب الملكية لتتحوّل إلى مطية لتمرير خطابات شوفينية وسطحية حول ذات وطنية متضخمة في خيالات لا صلة لها بالواقع.

لا يقوم المؤرخ الطيب بياض بأي نقد أو تقليل من قيمة هذه الذات، بل على العكس تماما، لأنه يستعين بخلاصات علمية آتية من مجال الأركيولوجيا والآثار، ليعطينا فكرة لا تشم فيها رائحة المزايدة أو المغالاة أو الانتصار للذات، عن غنى هذا الانسان الذي يقال له اليوم "المغربي"، بفعل ما تراكم في موروثه الجيني من طبقات سميكة من التجارب التي

تؤهله لأن يكون "جدّ" الإنسانية، بعدما جرى اكتشاف آثار لأقدم بقايا عظام بشرية بين ساحل اليوسفية والرباط غربا، وكهوف تافوغالت شرقا، مع آثار لا تقل أهمية تحت كتبان العيون والداخلة جنوبا.

ويستعين المؤرخ الذي فتح عيون جيل كامل من المغاربة الباحثين والمهتمين بتاريخ بلادهم، على خلفيات ورهانات ضربة "الترتيب" التي شكّلت واحدا من مظاهر ميلاد المغرب الحديث، بصفوة من الدارسين والعلماء الذين تطرّقوا لموضوع "الشخصية المغربية"، يتقدّمهم شيخ المفكرين المغاربة المعاصرين عبد الله العروي، ليذكرنا باستمرار المعركة الطويلة لتخليص المعرفة المرتبطة بهوية المغربي، أي بتاريخه وخصائصه الاجتماعية، من الطابع الاستعماري الذي خلّفه جيل المستكشفين والمستشرقين الذين مهّدوا للاستعمار السياسي.

إن أخطر ما يحصل لأمة من الأمم، ما صوّرته أستاذة جامعية نشيطة من الجيل الصاعد في مجال علم السياسة في المغرب، خلال تأطيرها ورشة لفائدة طلبة الدكتوراه حديثا، هو أن تعتقد أنها تدرس نفسها، بينما هي في الواقع تنظر إلى نفسها بعين ليست عينها، أي بمناهج وبراديغمات أنتجها آخرون لتثمر المعرفة التي تلائمهم وتخدم مصلحتهم .

يلامس كتاب الطيب بياض، وهو في الأصل درس افتتاحي قدمه بالمكتبة الجامعية محمد السقاط في 9 يناير 2024، أهم المداخل الممكنة لتفسير ماهية "الشخصية المغربية"، عبر مسار التاريخ ومسألة أصل الإنسان المغربي، ذلك الموري الذي يستمر لغزا لدى الدارسين أكثر مما يبوح لهم من أجوبة، ويستحضر عنصر الطبيعة والموقع الجغرافي المنتمي إلى أفريقيا والقريب من أوربا، والمعطى الديمغرافي الذي تغذى على روافد متنوعة لعل أحدثها وأكبرها كان الهجرات الأندلسية والموريسكية، ويعرّج على أطروحة المفكر عبد الله العروي الذي ربط بروز فكرة الوطنية بالمخزن ونخبه...

لكن أهم ما أثار انتباهي وأنا ألتهم ال90 صفحة التي يضمها الكتاب، هو تلك النبرة النقدية الواضحة والجازمة لمؤرخ ملمّ بمجال تخصصه، للمقاربة التقنية التي طبعت محاولات الإصلاح التي جرت في القرن التاسع عشر وفشلت في استباق كارثة الوقوع تحت سيطرة الأجنبي.

فسواء المدافعون عن الانفتاح على الآخر والاستلهام من تجاربه، والذين نعتهم الكاتب بالعزيزيين، أو الرافعين للواء الرفض والممانعة تجاه هذا الآخر المتفوّق والداعلين إلى استلهام أسباب النهوض من الشرق لا الغرب، والذين يمكن نعتهم بالحفيظيين، قاربوا مشكلة تخلف المغرب من منظور تقني حصر المشكلة أحيانا في الهزيمة العسكرية وراح من ثم يبحث عن وصفة النهوض في إصلاح وتطوير الجيش، ما أوقعه في فخ تجار السلاح الأوربيين الذين استنزفوا ما تبقى من إمكانات مالية دون طائل.

خلاصة الكتاب (الدرس الافتتاحي)، حسب قراءتي الخاصة، أن ما ينبغي أن ينكب عليه اهتمام المنشغلين بسؤال النهضة وإصلاح الأعطاب، هو مشكلة مركزية ونقطة قوة أساسية. أما المشكلة المركزية التي أشار إليها بيّاض في ارتباط بنقاش مراجعة المدونة، فهي ثنائية التقليد والتحديث التي تميّز الشخصية المغربية. هنا ينبغي أن ننبش أكثر لنعرف هل هو تقاطب مولّد للطاقة كما هو الحال في الفيزياء، أم مصدر للتردد والجمود وعدم الحسم؟ أما نقطة القوة، فهي تلك "الخميرة المغربية" التي تشكّلت بفعل تمازج عناصر روحية وأخرى ترابية، أنتجت هذه الشخصية المغربية المستقلة عن الشرق والتي تمكنت طيلة قرون من المواجهة، من الصمود أمام جيوش ايبيرية اجتاحت واستباحت قارات كاملة وراء المحيطات، لكنها فشلت في التقدم أكثر من بعض الثغور الساحلية في الشمال والجنوب.

إنها بالفعل خميرة وطن.

يونس مسكين

المواجهة بين إيران وإسرائيل..

المـأزق العربـي والمغربـي

إسماعيل حمودي

يظل المغرب، جغرافيا، بعيدا نسبيا عن ساحة المواجهة المحتملة بين إيران وإسرائيل. ويلاحظ في هذا الصدد أنه التزم بعدم التعبير عن موقف معلن، سواء إزاء الهجوم الإيراني على إسرائيل في ١٤ أبريل ٢٠٢٤، أو الاعتداء الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق في الأول من الشهر نفسه.

ووفقا لكتابات بعض المحللين، يعكس الموقف المغربي بالتزام الصمت المأزق الأخلاقي والسياسي الناجم عن اختياره التطبيع مع إسرائيل، التي تظل قوة محتلة لفلسطين، تمارس العدوان والإبادة في حق الشعب الفلسطيني في غزة والضفة وغيرهما، كما أنها كانت سباقة إلى الاعتداء العسكري على القنصلية الإيرانية في دمشق، والتي تتمتع بالحصانة في القانون الدبلوماسي؛ وثانيا لأن قطيعته الدبلوماسية مع إيران، لن تكون حجة مقنعة للوقوف ضدها في وجه العربدة الصهيونية في المنطقة، مهما كانت أخطاء إيران مقارنة بها.

لا يخلو هذا التحليل من وجاهة، لكن خلفيات الموقف المغربي تبدو أبعد من ذلك وأعمق، إذ ترتبط بأربعة محددات تتفاوت من حيث الأهمية في سلم مصالحه وأولوياته:

المحدد الأول: علاقاته الاستراتيجية بدول الخليج،

المحدد الثاني: عضويته في جامعة الدول العربية، والتزامه المستمر بمبدأ التضامن العربي،

المحدد الثالث: البعد الإسلامي من خلال منظمة التعاون الإسلامي، التي تضم الدول الإسلامية بما فيها إيران،

المحدد الرابع: التزامات المغرب في إطار التحالف العسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية.

أحدث الهجوم الإيراني على إسرائيل، في 14 أبريل 2024، رجّة إقليمية ودولية، بالرغم من محدوديته، سواء من حيث الأهداف أو الأسلحة المستعملة. فهي المرة الأولى التي تضطر فيها إيران إلى الهجوم بشكل مباشر على إسرائيل، بعدما دأبت على توظيف وكلائها للقيام بذلك.

بالمقابل، قررت إسرائيل الرد على الهجوم الإيراني، لكنها لم تنفذه حتى كتابة هذه السطور. وتتخوف دول المنطقة، ومعها العالم، بما في ذلك القوى الغربية مثل أمريكا، من أن تؤدي المواجهة إلى حرب إقليمية مدمرة في الشرق الأوسط، خاصة أن إيران هدّدت بالرد خلال ثوان في حال تعرضت لأي هجوم إسرائيلي قد يتجاوز ما تعتبره خطوطا حمراء، في إشارة ربما إلى برنامجها النووي والمنشآت الاستراتيجية المرتبطة به.

تبحث هذه الورقة في الحسابات العقلانية لكل دولة من وراء التصعيد المتبادل، أخذا بعين الاعتبار فرضية تزعم أن المنطقة تخضع لتوازن قوى إقليمي هش بين دول رئيسية في الشرق الأوسط، وكيف أن كل حرب بين تلك القوى يمكن أن تؤدي إلى تحطيم هذا التوازن الهش، وبالتالي دخول المنطقة في فوضى بنيوية طويلة الأمد، قد تطيح بأنظمة، ولن تكون بالضرورة في صالح إسرائيل أو إيران.

كما تبحث الورقة في محددات الموقف العربي أو ما تبقى من الأنظمة العربية الفاعلة في المنطقة، خاصة منها "التكتل العربي الجديد" الذي يشمل دول مجلس التعاون الخليجي + الأردن ومصر والمغرب، وهو تكتل قيد التشكيل.

كما تبحث أكثر في محددات الموقف المغربي والخيارات التي قد يفضلها من الناحية الاستراتيجية.

المعادلة الصعبة بين الأعداء

تعد إيران أحد أضلع معادلة التوازن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، وهي معادلة قائمة تحديدا على التوازن بين أربع قوى إقليمية تتمتع بالقوة النسبية وتسعى إلى ممارسة النفوذ والهيمنة في الإقليم: إيران بأذرعها وحلفائها؛ وتركيا مع حلفائها؛ وإسرائيل المسنودة غربيا؛ و"التكتل العربي" الذي تقوده العربية السعودية، لكنه يفتقر للتماسك الضروري.

وبين القوى الأربعة، تبدو إيران وإسرائيل الأكثر استعمالا لأدوات النفوذ لديهما، وخصوصا لقوة السلاح في المنطقة، لكل قوة إقليمية من بين القوى المذكورة، أدوات توظفها لفرض إرادتها وحماية مصالحها. مثلا، توظف إيران الإيديولوجيا والقوة العسكرية، في حين توظف إسرائيل قوتها العسكرية والتكنولوجية وعلاقاتها المتينة بالقوى الغربية، بينما توظف السعودية مركزيتها الدينية وقدراتها المالية والنفطية، أما تركيا فتملك القوة الناعمة التي عززتها في السنوات الأخيرة بالقوة العسكرية.

ما يجعلهما وكأنهما الأكثر نفوذا وزعزعة للاستقرار في الوقت نفسه. الأولى، أي إسرائيل، تستغل علاقاتها بالقوى الغربية، وانخراطها تحديدا في الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، فتقدم نفسها وكيلا أمينا للغرب وقيمه، والأكثر قدرة بين قوى الإقليم الأخرى على ترسيخ أسس الهيمنة الغربية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، خصوصا أمام القوى المنافسة للغرب سواء كانت دولية مثل الصين وروسيا أو إقليمية مثل إيران. لكنها تستعمل كل ذلك لتثبيت نفوذها الإقليمي سواء باستعمال القوة أو التلويح بها، أو من خلال سياسات ناعمة مثل التطبيع، للاندماج/اختراق دول وشعوب المنطقة، قصد تجاوز واقعها/طبيعتها كقوة احتلال.

> **تعد إيران أحد أضلع معادلة التوازن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط**

أما إيران فقد أسست نفوذها من خلال الاستثمار في القوة الصلبة (بناء قوة عسكرية بالاعتماد على الذات) وتوظيف الإيديولوجيا، وأساسا المذهب الشيعي، لبناء أذرع مسلحة وسط الأقليات الشيعية في المنطقة لتكون موالية لها وجزءا من استراتيجيتها العامة. ويبدو أنها قد نجحت في تحقيق الهدفين معا؛ إذ باتت من بين الدول القليلة في العالم التي تمتلك التقنية النووية وتكنولوجيا عسكرية متقدمة منها صناعة المسيّرات، في الوقت الذي نسجت فيه ميليشيات باتت تتحكم من خلالها في أربع عواصم عربية كما صرّح بعض مسؤوليها بذلك سنة 2014.

وقد أهلها كل ذلك لتكون رهانا للقوى الكبرى، كما سمح لها بالاستثمار في بناء تحالفات دولية متينة، اقتصاديا مع الصين، وعسكريا مع روسيا وكوريا الشمالية. لكن نقط ضعفها تكمن في محدودية الاقتصاد، وفي علاقاتها العدائية مع جيرانها من جميع الجهات (باكستان، أفغانستان، أذربيجان، تركيا، البحرين، السعودية، الإمارات)، باستثناء العراق الذي جعلت منه منفذا نحو سوريا والبحر الأبيض المتوسط.

تستغل أمريكا التنافس الإقليمي بين القوى الأربع، للمراهنة على أمرين: عزل إيران لتحجيم نفوذها الإقليمي، ثم العمل على نسج تحالف بين إسرائيل وبعض دول "التكتل العربي".

لكن الرهان الثاني يصطدم باعتراضين: الأول مصدره تركيا التي تقدم نفسها كقوة إقليمية بديلة ومؤهلة لقيادة المنطقة؛ والاعتراض الثاني مصدره تشكيك بعض دول "التكتل العربي" في النوايا الحقيقية لأمريكا، إذ ترى في استعداء إيران مجرد غطاء لتسريع دمج إسرائيل في المنطقة، ومنحها دور القوة الإقليمية الرئيسية.

الحجج التي ترجح ذلك، تكمن في

الوقائع الصلبة التي تشير إلى أن دول "التكتل العربي" طالما نظرت بريبة إلى السياسة الأمريكية اتجاه إيران؛ ففي عهد أوباما فوجئت دول الخليج بالاتفاق النووي سنة 2015، وفي عهد ترامب امتنعت القوات الأمريكية التي لديها قواعد عسكرية في الخليج عن اعتراض مسيّرات وصواريخ باليستية إيرانية استهدفت المجمعات النفطية السعودية والإماراتية. أما في عهد جو بايدن فقد أعلن الجيش الأمريكي سحب نظام الدفاع الجوي "باتريوت" من

> **باتت إيران من الدول القليلة في العالم التي تمتلك التقنية النووية وتكنولوجيا عسكرية متقدمة**

السعودية، ضمن قرارات أخرى تسببت في خيبة أمل كبرى لدى دول الخليج.

معطيات أكدت لديها اعتقاد متينا بأن أمريكا لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح حلفائها الخليجيين كما يتصورونها هم، وتستعمل إيران كورقة لاستدراجها نحو التطبيع مع إسرائيل لكي تسلم هذه الأخيرة دور القيادة على العرب لا على إيران. وهو ما ترفضه السعودية تحديدا، كما عبرت عن ذلك شروطها للتطبيع مع إسرائيل.

لا حاجة لاستدعاء حجج أكثر، من قبيل أن الأنظمة العربية هي التي استدعت

القوات الأمريكية لصد الغزو العراقي للكويت سنة 1991، بدل تكليف جيوشها بالقيام بذلك. وقد استجابت أمريكا للدعوة العربية، لكنها اقتنصت تلك الفرصة لإنشاء قواعد عسكرية في جل دول الخليج. ثم استغلت غزوها للعراق سنة 2003، خارج الشرعية الدولية لتغيير النظام بالقوة، وبناء المزيد من القواعد العسكرية على حدود تركيا وإيران.

وخلال "ثورات الربيع العربي"، سارع الأمريكيون مرة أخرى إلى بناء قواعد عسكرية أخرى في سوريا بذريعة مواجهة تنظيم "داعش". ثم حين هاجمت إيران دول الخليج عبر أذرعها المسلحة في العراق واليمن سنة 2019، لم تُفعّل أمريكا التزاماتها العسكرية بحماية الأجواء الخليجية، كما سبقت الإشارة.

في ضوء ذلك، يمكن أن نفهم التحولات الجديدة والهادئة في سياسات بعض الأنظمة الخليجية، خصوصا المملكة العربية السعودية، التي تضغط نحو بناء توازن إقليمي جديد في المنطقة، كما تعبر عن ذلك مساعيها لبناء تكتل عربي جديد (مجلس التعاون الخليجي + مصر والمغرب والأردن)، أو تنويع شراكاتها الاستراتيجية مع الصين وروسيا.

ولعل المؤشرات على ذلك عديدة، منها التنسيق السعودي الروسي لضبط أسعار النفط من داخل "أوبيك +"، والمصالحة الخليجية مع قطر، ثم إعادة بناء الشراكة مع تركيا، وانتهاء

جيروزاليم بوسط: الهجوم الإيراني أبان قوة الحلف الإسرائيلي العربي

قالت صحيفة "جيروزاليم بوسط" الاسرائيلية في معرض تحليلها للهجوم الإيراني على إسرائيل، إن هذا الأخير لم ينجح في تفكيك ما أسمته الصحيفة التحالف الإقليمي لدول المنطقة مع "إسرائيل" في إشارة إلى ردود الفعل التي أظهرتها هذه الدول إزاء الهجوم.

ويرى التقرير الذي نشرته الصحيفة أن هذا "التحالف" الذي يجمع دول المنطقة مع "إسرائيل" لم يتشكل في جوهره بناء على "الاعتراف بمشروعية هذه الأخيرة في الوجود، بل كان نتيجة الإدراك بأن التعاون مع إسرائيل من شانه أن يهزم مخططات الهيمنة الإيرانية في الشرق الأوسط".

وتابعت أن قبول تل أبيب من قبل كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين والأردن ومصر والمغرب، وبشكل غير رسمي المملكة العربية السعودية كان خوفًا وكراهية لطهران. معتبرة أن وجود إسرائيل في المنطقة "قد يشكل مصدر إزعاج لتلك الدول، لكن أيديولوجية القادة في إيران تشكل تهديدا أكبر بالنسبة لهذه الدول".

وخلص تحليل الصحيفة العبرية إلى أنه انطلاقا من هذا التهديد ولد التعاون الأمني الذي وصفته بالوثيق بين إسرائيل وهذه الدول العربية التي تجمعها علاقات مع إسرائيل، واصفة الاتفاقيات التي أبرمتها الدول العربية تباعا مع تل أبيب بكرة الثلج التي أخذت تنمو وهي تتدحرج.

وأشارت إلى النقطة التي وصلتها هذه السرعة في "التطبيع" مع إسرائيل، قبيل السابع من أكتوبر، والتي تتمثل في دنو تطبيع الرياض مع تل أبيب، والذي قالت الصحيفة إنه كان يتم بثبات تحت الطاولة إلى أن باغت ذلك تاريخ السابع من أكتوبر.

وزعمت المصادر ذاتها أن الحرب الإسرائيلية الفظيعة التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي منذ السابع من أكتوبر من لم تثن الدول العربية المتحالفة مع إسرائيل من التعاون معها على صد الهجوم الإيراني.

واعتبرت أن هذا التحالف مستمر في الوجود التنامي بالرغم من تزايد الغضب الشعبي العارم بهذه بشأن الحرب الإسرائيلية في غزة وما خلفته من خسائر في أرواح الفلسطينيين العزل.

وبرر التقرير هذه الفكرة بالرد الذي أظهرته هذه الدول تجاه الهجوم الإيراني، معتبرة أن "القدرات الدفاعية التي تراكمتها إسرائيل بهدوء على مدى السنوات الماضية مع حلفائها الإقليميين الذين لم يتم الكشف عن أسمائهم علناً، ساعدت في التصدي للصواريخ والمسيرات الإيرانية".

واعتبرت الصحيفة أن هذه الأحداث خففت عزلة إسرائيل. في الوقت الذي كانت فيه التوترات مع واشنطن في ذروتها، خاصة عندما كان الرئيس الأمريكي جو بايدن ينتقد علناً رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو والسياسات الإسرائيلية، مما أعطى الضوء الأخضر لحلفاء إسرائيل الآخرين، مثل بريطانيا وفرنسا، ليفعلوا الشيء نفسه – فإن هذا الهجوم جعلها تهب لمساعدة إسرائيل.

بالمصالحة السعودية الإيرانية برعاية صينية، وانضمام السعودية والامارات ومصر إلى مجموعة "بريكس" التي باتت تكتلا لدول عالم الجنوب. علاوة على الاتفاقيات الاستراتيجية لدول مجلس التعاون الخليجي مع الصين. وتبدو المملكة العربية السعودية القوة الممسكة بدفة التحول الجديد قيد التشكيل، دون أن تنجح فيه تماما حتى الآن.

أمريكا وإيران: اللغز

أما العلاقات الأمريكية الإيرانية فتبدو مثل اللغز. والسبب في ذلك أن الولايات المتحدة أثبتت في مناسبات عديدة أنها لا تريد تدمير إيران أو تحييدها تماما من معادلة التوازن الإقليمي، لكنها لا تقبل بها قوة إقليمية مهيمنة.

بين الخيارين، تبدو واشنطن مستعدة دائما للتفاوض معها، بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى في لحظات التوتر القصوى. ويبدو أن التفسير الأقرب للواقع في علاقات البلدين يجد أسسه في أولوية أمريكا في الحفاظ على التوازن الإقليمي كما صاغته في ظل قيادتها العالمية منذ نهاية الحرب الباردة في منطقة استراتيجية كالشرق الأوسط. وهو توازن رباعي حتى الآن، بعد تحييد العراق ثم سوريا بالقوة. ولا يبدو أنها تسعى إلى تغييره في الأفق المنظور بإزاحة إيران مثلا، حتى لو كانت إسرائيل تريد وتلح على ذلك، لماذا؟

> **الأنظمة العربية هي التي استدعت القوات الأمريكية لصد الغزو العراقي للكويت سنة 1991**

لقد رأينا كيف أن الموقف الأمريكي من إيران ظل محط تشكيك من لدن بعض دول "التكتل العربي"، خصوصا السعودية. لكن الملاحظ أيضا أنه نقطة خلاف رئيسية كذلك بين إسرائيل وأمريكا.

تعتبر إسرائيل أن تدمير البرنامج النووي الإيراني أولوية قصوى، لأن حصول إيران على سلاح نووي معناه تعادل قوة الردع بين الطرفين، والحال أن إسرائيل تريد أن تظل القوة النووية الوحيدة في المنطقة، تنفرد بميزة الردع النووي. لكن أمريكا ظلت تعترض دائما على أي خيار عسكري لتدمير البرنامج النووي الإيراني، رغم التقارير المتواترة التي تفيد بأن إيران باتت تملك فعلا التقنية النووية، بل الخبرة اللازمة والكافية لصناعة سلاح نووي خلال فترة قصيرة.

الأدهى من ذلك، وبالعودة إلى الاتفاق النووي لسنة 2015، يظهر أن أمريكا لم تكن تمانع في حصول إيران على قنبلتها النووية خلال سنوات محدودة. وفي عهد الرئيس أوباما، فضلت واشنطن التفاوض مع إيران على استعمال القوة ضدها، كما كانت تنصحها بذلك إسرائيل.

ربما كان الهدف الرئيسي حينها هو افتكاكها من المحور الصيني والروسي، وإدماجها في اقتصاد السوق الحر، وبالتالي تخفيف الحضور الأمريكي منطقة الشرق الأوسط، للانتقال إلى منطقة المحيط الهادي لتطويق المارد الصيني.

لكن الوضع تغير جوهريا مع مجيء ترامب، الذي فضل اعتماد سياسة العقوبات القصوى ضد إيران، إلى جانب ضربات عسكرية مؤلمة لميليشياتها في العراق وسوريا (مقتل الجنرال سليماني)، وقد تبين فشل تلك السياسة مرة أخرى، بل أدت إلى نتائج عكسية، تجلت في تعميق التحالف الثلاثي الإيراني الروسي الصيني، كما تؤكد ذلك اتفاقيات "الشراكة الاستراتيجية الشاملة" بين الصين وإيران بقيمة 400 مليار دولار في 2020، ثم الارتقاء بالعلاقات العسكرية مع روسيا إلى "شراكة دفاعية كاملة" في 2022.

فضلا عن انضمام إيران إلى مجموعة "بريكس"، ودعمها لروسيا في حربها على أوكرانيا بالسلاح والطائرات المسيّرة.

خطوات تفيد أن إيران اختارت الانحياز تماما للتكتل الصيني الروسي، ولا يبدو أن المفاوضات مع الغرب تظل ذات أهمية بالنسبة لها، إلا بقدر ما ستريحه من وقت لتطوير قدراتها العسكرية وبرنامجها النووي، أو ما تجنيه من أرباح اقتصادية وتجارية.

وقد أثرت تلك الخطوات على خيارات إدارة الرئيس جو بايدن، التي حاولت استمالة إيران من خلال الحديث عن إمكانية إحياء الاتفاق النووي، عبر مفاوضات ثنائية بوساطة عمانية، إلا أن ولايته الرئاسية الأولى قد شارفت على الانتهاء دون أن يتمكن من إحراز أي تقدم، ربما لانشغاله بالحرب الروسية على أوكرانيا، وبالتحرشات الصينية ضد تايوان، ويبدو أن وضعه ازداد تعقيدا مع التصعيد الإيراني الأخير بالهجوم على إسرائيل، بشكل مباشر ولأول مرة، وهي وضعية تزيد من تعقيد الحسابات الأمريكية أكثر، وتدفع البعض إلى افتراض أن الانحياز الإيراني التام للتكتل الروسي الصيني، والتصعيد الأخير ضد إسرائيل، قد يضغط على أمريكا لاتخاذ قرار رادع ضد إيران، أو السماح بذلك لإسرائيل.

لكن ما حدث منذ هجوم إيران على إسرائيل، في 14 أبريل، يرجح الاحتمال المضاد، أي استبعاد أي سيناريو أمريكي يقبل بمواجهة شاملة ومدمرة ضد إيران، ليظل الخيار الممكن مرة أخرى هو عقوبات قصوى ضد إيران ووكلائها، تشمل الدول والشركات التي تساعدها على "التنفس"، وأن تلتزم القوى الاقتصادية الكبرى في العالم (مجموعة السبع مثلا) بتنفيذ تلك العقوبات، وفي الوقت نفسه دعم القوى النقابية والديمقراطية ضد النظام الإيراني، لعل ذلك يسهم في تفككه وانهياره من الداخل.

وصفة طرحها أكثر من طرف على طاولة القرار الأمريكية، وتشكل الخيار الممكن أمامها، لكن السؤال يظل هو قدرتها على ردع إيران وتحجيم نفوذها فعلا، خصوصا بعدما نسجت تكتلا واسعا مع الصين وروسيا ودول أخرى.

ما لا يطرحه أصحاب هذا الرأي، هو أن هذه الحسابات تلتقي مع حسابات إيران كذلك، التي لا تريد أن تتحطم في أي حرب مع إسرائيل/الغرب، لا يبدو أنها جاهزة لها حتى الآن، بسبب تدهور وضعها الاقتصادي والاجتماعي، ولعدم امتلاكها قوة ردع عسكرية متقدمة وكافية لمواجهة إسرائيل، خصوصا الردع النووي.

> **أثبتت الولايات المتحدة في مناسبات عديدة أنها لا تريد تدمير إيران أو تحييدها تماما**

كما تدرك إيران أن أية حرب مباشرة مع إسرائيل والغرب، قد تكلفها مقومات النفوذ الرئيسية لديها، وهي برنامجها النووي وأذرعها العسكرية في المنطقة، تلك الأذرع التي قضت عقودا في بنائها تدريجيا، وباتت مكشوفة إثر ما سمي بـ"ثورات الربيع العربي"، بعدما مرّر مسؤولوها علانية عن تحكمها في أربع عواصم عربية على الأقل هي اليمن وسوريا ولبنان والعراق.

يبدو أنه بسبب الاعتبارات السابقة، كان الهجوم الإيراني ضد إسرائيل محدودا، لانتفاء عنصر المباغتة عنه، ومن حيث نوعية الأسلحة المستعملة، التي قصدت على ما يبدو اختبار أنظمة الدفاع الجوي في إسرائيل، والكشف عن نقط القوة والضعف في استراتيجيتها للردع والدفاع، واختبار حدود الحماية الغربية لإسرائيل، علاوة على تأكيد هيبتها الإقليمية، واستجابة للغضب الشعبي من الضربات الإسرائيلية المستمرة ضد مواقعها وقياداتها العسكرية في سوريا. الاعتبارات نفسها التي قد تدفع إسرائيل إلى الردّ على الهجوم الإيراني كذلك، أي لحفظ هيبتها كدولة

إقليمية، وتأكيد قدرتها على حماية نفسها ولو بدون دعم أمريكي، واختبار قدرات أنظمة الدفاع الجوي لدى إيران، ونوعية الأسلحة التي تمتلكها ولم توظفها في الهجوم، وربما استغلت هذه الفرصة لتدمير مواقع استراتيجية في إيران، وخصوصا اختبار قدراتها على تدمير المواقع المحصنة تحت الأرض.

عموما، فإن الموقف الأمريكي الرافض لأي مواجهة إقليمية شاملة بين إيران وإسرائيل، يجعل ما حصل حتى الآن كما لو أنه اختبار متبادل للقوة. لكن التخوفات في المنطقة نابعة من احتمال تطور الهجوم والهجوم المضاد إلى مواجهة شاملة، في حالة تجاوز الرد الإسرائيلي ما تعتبره إيران خطوطا حمراء، أي برنامجها النووي تحديدا، وهو ما تخشاه أكثر الأنظمة العربية، التي باتت تدرك فداحة خسائرها المحتملة جراء أية حرب شاملة بين إيران وإسرائيل وحلفائهما. لذلك تظهر الأكثر إلحاحا في الضغط من أجل منع أي مواجهة تخرج عن السيطرة. لماذا؟

المأزق العربي

بدت الأنظمة العربية ليلة 14 أبريل كالمتفرج على "مسرحية"، مع علمها مسبقا بأنها موضوع المسرحية أو الرهان الإيراني والإسرائيلي على حد سواء. كلاهما يريد ما تبقى من الأنظمة العربية إلى جانبه، وليس في مواجهته. لكن من وجهة نظر واقعية، تبدو الأنظمة العربية أكبر من موضوع، وتشكل في حد ذاتها قوة إقليمية كامنة لا يُستهان بها، وخصوصا إذا نجحت في تجاوز واقع التفكك نحو بناء "التكتل العربي الجديد" كما سبقت الإشارة إليه، بالنظر إلى ما يمتلكه من موارد قوة وأدوات للنفوذ.

تكمن نقطة ضعف القوة العربية في افتقارها لمشروع عربي إقليمي بديل، وهو المشروع الذي تحول دونه عوائق عديدة من أهمها حسب وجهة النظر هاته؛ مشكل الثقة بين الأنظمة العربية، خصوصا بين الأنظمة الملكية وتلك الجمهورية، وبين الأنظمة الملكية العتيقة والمحدثة، إذ تعاني هذه الأخيرة من عقدة التهديد الوجودي، خصوصا في منطقة الخليج (قطر، الإمارات، الكويت، البحرين..)، وبأنها محط أطماع جيرانها الأقوياء مقارنة بها، لما تتوفر عليه من موارد نفطية ومالية. ومنها التفضيل الاستراتيجي الغربي لإسرائيل على الأنظمة العربية، مهما بالغت في التعبير عن الامتثال

القطيعة الأولى بين المغرب وإيران في وثائق ويكيليكس

تعود أول قطيعة دبلوماسية رسمية بين المغرب وايران في عهد الملك محمد السادس، إلى مارس 2009، حين أعلنت وزارة الخارجية المغربية أن "المغرب استدعى يوم 25 فبراير من تلك السنة، القائم بالأعمال المغربي بالنيابة بسفارتها في طهران للتشاور لمدة أسبوع"، وأنها طلبت توضيحات من السلطات الإيرانية التي "سمحت لنفسها بالتعامل بطريقة متفردة وغير ودية ونشر بيان تضمن تعبيرات غير مقبولة في حق المغرب إثر تضامنه مع مملكة البحرين، على غرار العديد من الدول، بشأن رفض

المساس بسيادة هذا البلد ووحدته الترابية".

وبعد نهاية ذلك الأسبوع وعدم توصل الرباط بأية توضيحات إيرانية، كانت القطيعة الدبلوماسية التامة بين البلدين.

وفيما جاءت الخطوة رسميا نتيجة لبيان للخارجية الإيرانية، هاجم رسالة من الملك المغربي محمد السادس، موجهة إلى نظيره البحريني، يعبر له فيها عن تضامنه أمام تصريحات إيرانية تمس بسيادة البحرين، جاءت تسريبات وثائق "ويكيليكس" في وقت لاحق لتكشف جانبا آخر من القصة.

فقد كان نصيب المغرب من كرنفال "وكيليكس" الذي كشف حقائق كثيرة وافرا، عبر مئات الوثائق التي أرسلتها سفارة وقنصلية الولايات المتحدة الأمريكية بالمغرب إلى واشنطن وتم نشرها في تلك التسريبات. وثائق تضمنت أسباب قرار المغرب قطع علاقاته مع ايران. حيث تفيد إحدى تلك الوثائق، أن القرار تم بإيعاز من المملكة العربية السعودية، الحليف التقليدي للمغرب. بعدما أصبحت إيران في استعمال سفارتها لدى المغرب، كمنصة لإطلاق دعايتها الشيعية في الغرب الإفريقي.

وأوضحت إحدى وثائق وكيليكس أن القصر الملكي المغربي، كان على اتصال يومي مع الرياض، ليفاجأ الكل، بما فيه الحكومة المغربية، بقرار قطع العلاقات الدبلوماسية بين الرباط وطهران.

مقابل هذا التعاون المغربي، تعهّدت المملكة العربية السعودية بضمان استمرار تدفّق النفط المدعوم، وملء الفراغ الذي يخلّفه انسحاب بعض المستثمرين الخليجيين من الأوراش الكبرى للمملكة.

في المقابل، نقل السفير الأمريكي حينها في المغارب، طوماس رايلي لرؤسائه في واشنطن، تفاصيل الحديث الذي دار بين الكاتب العام لوزارة الخارجية المغربية حينها، السفير الحالي للمغرب في واشنطن يوسف العمراني، ومديرة قسم المغرب العربي وسوريا ولبنان في الخارجية الإسرائيلية، حيث قالت هذه الأخيرة للسفير الأمريكي بالمغرب، إن العمراني عبّر لها عن استعداد الرباط لاستقبالها من أجل المشاركة في مؤتمر لمكافحة الإرهاب النووي، احتضنه المغرب في يونيو 2009.

عودة الدفء في 2014

بعد قطيعة دامت حوالي خمس سنوات، عاد الدفء ليدب في أوصال العلاقات المغربية الإيرانية عام 2014، حيث كشفت الخارجية الايرانية في فبراير من تلك السنة. عن التوصل الى اتفاق مبدئي مع المغرب، من أجل إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وإنهاء خمس سنوات من القطيعة التي قرّرها المغرب من جانب واحد.

البيان قال حينها إن اتصالا مباشرا جرى بين وزيري خارجية المغرب وايران، وتم فيه الاتفاق على إقامة علاقات دبلوماسية. ونقلت الوكالة الايرانية عن مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية والإفريقية، حسين أمير عبد اللهيان، قوله إن "وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، ونظيره المغربي، صلاح الدين مزوار، وضمن تأكيدهما على الوشائج التي تربط بين البلدين والشعبين، شددا على ضرورة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين"، قبل أن يؤكد أنه "بناءً على هذا الاتفاق، سيتم قريبا إعادة فتح سفارتي البلدين".

هذا السعي إلى استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، جاء وفقا لمصادر دبلوماسية مغربية بمبادرة من الجانب الايراني، "حيث قام الايرانيون بمساع متواصلة ومنذ مدة طويلة، من أجل تجاوز القطيعة وإعادة العلاقات الدبلوماسية، وكانوا يستغلون كل فرصة من أجل الدفع في هذا الاتجاه".

ولم ينته العام 2014 إلا وقد عادت السفارة الإيرانية إلى نشاطها المعتاد، بإعلان الرئاسة الايرانية تعيين سفير جديد لها في الرباط، ولم يكن السفير الجديد سوى الدبلوماسي الخبير في المنطقة المغاربية، محمد تقي مؤيد. هذا الأخير كان مطالبا قبل شهر من تعيينه مطالبا بزيارة أحد أبرز المراجع الدينية في ايران، وهو "آية الله العظمى صافي الكلبايكاني". هذا الأخير الذي يعتبر أحد أهم المرجعيات الدينية المؤثرة في القرارات الاستراتيجية للجمهورية الاسلامية، استقبل السفير الإيراني المعين في الرباط وألقى عليه التعليمات والتوجيهات التي يجب عليه اتّباعها عند مباشرته لمهامه الدبلوماسية بالمغرب.

الموقع الرسمي للمرجع الديني الايراني، نشر حينها تقريرا موجزا حول الزيارة التي قام بها محمد تقي مؤيّد عليه في مدينة قم الإيرانية، وأهم التوجيهات التي سيحملها الدبلوماسي الإيراني الجديد معه إلى الرباط.

آية الله صافي الكلبايكاني، خاطب سفير إيران الأخير في المغرب بالقول إنه بصدد القيام بمهمة "حساسة" من خلال تحمّله مسؤولية سفارة بلاده في المغرب، معبّرا له عن خالص دعواته بالتوفيق والنجاح فيها. أهمية هذه المهمة الدبلوماسية تتمثل حسب المرجع الديني الشيعي، في كون المغرب من بين أكبر الدول الإسلامية وأكثرها قدرة على دعم الوحدة والاندماج بين الدول الإسلامية، في مواجهة ما أسماه بـ"أعداء الإسلام".

المسؤول الديني الشهير في الأوساط الشيعية، قام بالثناء على الأسرة الملكية المغربية، موضّحا للسفير الجديد أنها تنتمي إلى "الأشراف" وتنحدر من سلالة الحسن بن علي. وأضاف المرجع الديني الإيراني أنه يعرف جيّدا الأسرة الملكية بالمغرب ابتداء من جدّ الملك الحالي، أي الملك محمد الخامس، ويعرف مدى تقديرهم لآل البيت. ودعا المرجع الديني السفير الجديد إلى العمل على تحقيق التعاون بين المغرب وإيران في الدفاع المشترك عن إسلام الرحمة، في مقابل مظاهر القتل والعنف التي تسيء إلى الاسلام وتنزع المصداقية عن المسلمين. وحثّ آية الله سفير طهران الجديد على تطوير مزيد من التواصل مع الأكاديميين والعلماء المغاربة، من أجل تبادل الأفكار والآراء.

والمداهنة وحتى المناورة، ما يشعرها بالخوف الدائم من ألاعيب القوى الإقليمية في المنطقة، سواء إيران أو تركيا او إسرائيل، ومن مكر القوى الكبرى كذلك، خصوصا الغربية منها.

لكسر تلك العوائق، طالما قامت هذه الدول بمبادرات اصطدمت في الغالب بمشاريع جيوستراتيجية، تقضي عليها في المهد، كما حصل مع اتحاد المغرب العربي، أو مجلس التعاون العربي الذي قضي عليه نهائيا. وحده مجلس التعاون الخليجي لا يزال يقاوم بصعوبة.

في السنوات الأخيرة، وإثر هجوم غربي منظم على المنطقة (مشروع الشرق الأوسط الكبير، غزو العراق، الحرب على الإرهاب، تداعيات الربيع العربي...)، سلكت بعض الأنظمة خيارات منفردة، أي صياغة مشاريع إقليمية خاصة بها، لكنها انتهت إلى الصدام فيما بينها، سواء بشكل منهجي شامل (قطر- الإمارات)، أو صدام جزئي بسبب تباين التصورات والأولويات (السعودية والإمارات في اليمن - أو الامارات ومصر في السودان...). ويعتبر حصار قطر من قبل السعودية ودول عربية أخرى أحد نتائج ذلك الانقسام، الذي توقف بالتزامن مع حدثين: الأول، صدمة مشروع "صفقة القرن" لتصفية القضية الفلسطينية، والثاني الخيبة الخليجية من امتناع أمريكا عن التدخل ضد صواريخ إيران بسبب هجومها على المجمعات النفطية في السعودية والامارات.

أحداث من بين أخرى نبّهت تلك الأنظمة إلى ضرورة إعادة ترتيب حساباتها، بحثا عن نوع من التوازن في علاقاتها الخارجية، بين الحلفاء والشركاء، من وجهة نظر تؤكد أن التحالف مع القوى الغربية لا يمنع بناء شراكات معمقة مع الصين وروسيا.

في هذا الاتجاه، يمكننا فهم عدة مؤشرات من قبيل اتفاقيات الشراكة الاستراتيجية مع الصين، التي توجت بالقمة الثلاثية (السعودية- الصينية / الخليجية- الصينية/ العربية - الصينية) في دجنبر 2022. وتوسيع منظمة "أوبك" لتشمل دول أخرى مثل روسيا في إطار مجموعة جديدة هي "أوبك +"، التي تأسست في 2016، وباتت تتحكم فيها قوتان نفطيتان رئيسيتان هما السعودية وروسيا، إلى جانب 21 دولة أخرى. علاوة على قرار الانضمام السعودي والإماراتي والمصري إلى مجموعة "بريكس" في قمتها الأخيرة بجنوب افريقيا، وهي خطوة استراتيجية من لدن البلدان الثلاثة، خلّفت استياء علنيا لدى الولايات المتحدة الأمريكية، التي سارعت إلى الضغط على الدول الثلاثة لمنع تفعيل انضمامها إلى المجموعة، التي بات ينظر إليها في الغرب كبديل عن مؤسسات النظام الدولي الليبرالي، وخطوة نحو تأسيس نظام دولي لدول الجنوب بقيادة الصين.

تدرك إيران أن أية حرب مباشرة مع إسرائيل والغرب قد تكلفها مقومات النفوذ الرئيسية لديها

في سياق هذا التطور الجيوستراتيجي الشامل، تبدو مصلحة الأنظمة العربية في منع تطور المواجهة بين إيران وإسرائيل إلى حرب إقليمية مباشرة. أولا، لأنها ستوقف التحول القائم نحو بناء تكتل عربي جديد يعيد التوازن إلى المنطقة. وسيسمح، ثانيا، لإسرائيل بالسيطرة على المنطقة في غياب الرادع الإيراني. وثالثا، من شأن أية حرب مباشرة بين الطرفين، أن تجعل من الأراضي العربية ساحة للمواجهة، ومن دون شك قد تؤدي إلى إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية، وقد تكون الأردن تحديدا الضحية الكبرى في تلك مواجهة. ورابعا، سترفع الحرب من ضغوط الشعوب العربية على أنظمتها السياسية، خصوصا تلك التي

قد تنخرط فيها بمرر الحفاظ على سيادتها الجوية، كما فعل الأردن مع الهجوم الإيراني، لكنه وجد نفسه في مأزق، لأن سلوكه المتوقع والبديهي -إذ لا يمكن لأي دولة أن تقبل بتحليق قوات جوية لدولة أخرى فوق مدنها أو قواعدها العسكرية أو مواقع استراتيجية لديها- جرّ عليه إدانات واتهامات لجيشه وصلت حد الخيانة. وخامسا لأن أي حرب بين إسرائيل وإيران، تعني انخراط الميليشيات الشيعية المسلحة فيها، سواء تلك المعلنة مثل حزب الله في لبنان وجماعة الحوثي في اليمن، والجماعات المسلحة الأخرى في سوريا والعراق، أو تلك التي تنشط سياسيا فقط في دول الخليج مثل الكويت والبحرين والسعودية وعمان، والتي قد تخرج للاحتجاج في الشوارع. ما يعني فوضى شاملة في الإقليم، قد يضعف أنظمة أخرى، وقد يطيح بها.

تكمن نقطة ضعف القوة العربية في افتقارها لمشروع عربي إقليمي بديل

المأزق المغربي أيضا

جغرافيا، يظل المغرب بعيدا نسبيا عن ساحة المواجهة المحتملة بين إيران وإسرائيل. ويلاحظ في هذا الصدد أنه التزم بعدم التعبير عن موقف معلن، سواء إزاء الهجوم الإيراني على إسرائيل في 14 أبريل، أو الاعتداء الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية في دمشق في الأول من الشهر نفسه.

ووفقا لكتابات بعض المحللين، يعكس الموقف المغربي بالتزام الصمت المأزق الأخلاقي والسياسي الذي وضع فيه نفسه، أولا لأنه اختار التطبيع مع إسرائيل، التي تظل قوة محتلة لفلسطين، تمارس العدوان والإبادة في حق الشعب الفلسطيني في غزة والضفة وغيرهما، كما أنها كانت سباقة إلى الاعتداء العسكري على القنصلية الإيرانية في دمشق، والتي تتمتع بالحصانة في القانون الدبلوماسي؛ وثانيا لأن قطيعته الدبلوماسية مع إيران، لن تكون حجة مقنعة للوقوف ضدها في وجه العربدة الصهيونية في المنطقة، مهما كانت أخطاء إيران مقارنة بها.

لا يخلو هذا التحليل من وجاهة، لكن خلفيات الموقف المغربي تبدو أبعد من ذلك وأعمق، إذ ترتبط بأربعة محددات تتفاوت من حيث الأهمية في سلم مصالحه وأولوياته:

الأول، علاقاته الاستراتيجية بدول الخليج، كما تعبر عن ذلك العلاقات العائلية والثنائية بين أنظمة الحكم في المغرب والخليج؛ وكذا ما تقتضيه الاتفاقيات العسكرية والأمنية المبرمة بين المغرب والإمارات وبين المغرب والسعودية مثلا من التزامات دفاعية متبادلة؛ علاوة على المبرر الديني المتمثل في احتضان السعودية للأراضي الإسلامية المقدسة (مكة والمدينة)، وهي اعتبارات طالما استند إليها المغرب للانخراط في الدفاع عن دول الخليج العربي، سواء في حرب الخليج الأولى سنة 1991، أو حين قطع علاقاته مع إيران تضامنا في البحرين في 2009، أو لما انخرط في التحالف العربي ضد الحوثيين سنة 2016، فيما سمي بـ"عاصفة الحزم".

وعليه، من شأن أية حرب إيرانية إسرائيلية مباشرة أن تدفع المغرب إلى التدخل للمشاركة في حماية الدول الخليجية من أي تهديد مباشر أو محتمل، خاصة أن اندلاع الحرب قد يدفع إيران إلى مهاجمة قواعد عسكرية أمريكية وغربية في دول الخليج، مثلما قد يدفع إسرائيل لاستغلال الحرب للتوسع على حساب الأراضي العربية.

الثاني، يرتبط بعضويته في جامعة الدول العربية، والتزامه المستمر بمبدأ التضامن العربي، الذي أكد عليه دستور 2011، والذي قد يستند عليه للتدخل من أجل المشاركة في حماية المملكة الأردنية أساسا، التي تربطها علاقات وثيقة أيضا بالمملكة المغربية، سواء بين نظامي الحكم (ملكي/علوي)، أو ما تقتضيه الاتفاقات المبرمة بين البلدين، من إسناد متبادل في زمن المحن التي قد يتعرض لها أحد البلدين. ومعلوم أن الأردن من الدول الداعمة للوحدة الترابية المغربية، ولمغربية الصحراء، ومن المنتظر أن يجد المغرب نفسه ملزما برد الجميل للأردن، في أية محنة يمكن أن يتعرض لها.

يتمثل المحدد الثالث في البعد الإسلامي، والمعبر عنه مؤسساتيا من خلال منظمة التعاون الإسلامي، التي تضم الدول الإسلامية بما فيها إيران. لكن تأثير هذا البعد على الموقف المغربي من أية حرب محتملة بين إيران وإسرائيل قد يكون محدودا، بالنظر إلى العلاقات المتوترة مع إيران، التي يتهمها المغرب بدعم جبهة البوليساريو الانفصالية ضد وحدته الترابية، وزرع بذور الفتنة المذهبية في الدول العربية الأخرى.

هناك محدد رابع قد يوجه السلوك أو الموقف المغربي في أي مواجهة شاملة بين إيران وإسرائيل، ترتبط بالتزاماته في إطار التحالف العسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا بعد انضمامه أخيرا إلى القيادة الأمريكية العسكرية الوسطى، التي باتت تشمل إسرائيل أيضا منذ 2020، لكنه محدد لن يملي عليه الاختيار بين إسرائيل وإيران،

من شأن أية حرب إيرانية إسرائيلية مباشرة أن تدفع المغرب إلى التدخل للمشاركة في حماية الدول الخليجية

وإنما قد يمنحه ميزة للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لتضغط بدورها على إسرائيل لمنع أي حرب شاملة، قد تكون ضحيتها الدول العربية مثل الأردن والخليج.

خلاصة القول أن المواجهة المباشرة بين إيران وإسرائيل قد تكون مدمرة للطرفين، حسب ميزان القوى العسكري والاقتصادي بينهما، ومستوى جاهزية حلفائهما لإمداد كل منهما بالمقاتلين والعتاد العسكري المتقدم. لكن الخسارة الأكبر لأية حرب شاملة محتملة لن تدفعها إيران أو إسرائيل بالضرورة، بل قد تكون على حساب الأنظمة والشعوب العربية المجاورة، خصوصا الأردن ودول الخليج. ما يجعل من هذه الحرب مأزقا حقيقيا للأنظمة العربية، وللمغرب كذلك، وتفرض عليها جميعا ممارسة الكثير من الضغط لردع إسرائيل وإيران معا، والمسارعة في بناء تكتل عربي جديد بمشروع بديل قادر على ملء حالة الفراغ القاتلة.

القطيعة الأخيرة في 2018.. دعم سعودي وغضب جزائري

بعد أقل من أربع سنوات على استئنافها، عاد المغرب في أواسط العام 2018، ليعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، لكن السبب هذه المرة كان مختلفا واغير مسبوق، وهو اتهام طهران بدعم جبهة البوليساريو الانفصالية.

ورغم حرص الرباط على التأكيد منذ لحظة إعلانها هذا القرار، الطابع الثنائي للخطوة، وعدم ارتباطه بأية ضغوط دولية أو إقليمية؛ إلا أن توقيت صدور هذا القرار جعله يتزامن مع تحركات دبلوماسية دولية مكثفة مرتبطة بالملف النووي الإيراني.

المملكة العربية السعودية التي كانت تقود حينها عملية تعبئة دولية كبيرة لمحاصرة ايران؛ خرجت بشكل متصاعد لدعم الخطوة المغربية منذ اللحظات الأولى لإعلانها. فبعد قصاصة عاجلة من وكالة الأنباء السعودية الرسمية، وتغريدة وزير الخارجية عادل الجبير؛ كان دور الملك سلمان بن عبد العزيز، الذي اتصل شخصيا بالملك محمد السادس، مؤكدا في اتصال هاتفي مع الملك محمد السادس، وقوف السعودية مع الرباط لمواجهة نزعة إيران ووكلائها العدوانية وتدخلاتها في شؤون الدول العربية.

القصاصة الرسمية التي أعنت الخبر، قالت إن العاهلين أكدا خلال الاتصال الهاتفي ضرورة توحيد المواقف وتنسيق الجهود لمواجهة النزعة العدوانية للنظام الإيراني وتدخلاته ووكلائه في شؤون الدول العربية، وسياساته الهادفة لزعزعة الأمن والاستقرار في العالم العربي.

الموقف الداعم للقرار المغربي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، انتقل من بيانات وتصريحات دول الخليج العربي، ليصبح موقفا رسميا لجامعة الدول العربية. الأخيرة عبرت عن تضامنها مع المغرب في قراره قطع علاقاته مع ايران "لما تمارسه الأخيرة من تدخلات خطيرة ومرفوضة في الشؤون الداخلية للمملكة المغربية".

وبعد أقل من 24 ساعة من إعلان المغرب قراره قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، مفسرا ذلك بثبوت روابط عسكرية بين حزب الله اللبناني الموالي لإيران، وجبهة البوليساريو الانفصالية؛ تحوّل الموضوع إلى محور لمواجهة مباشرة بين المغرب والجزائر.

هذه الأخيرة التي تعتبر المحتضن الأول والداعم الأكبر، دبلوماسية وعسكريا لجبهة البوليساريو، تعتبر المعني الأول بالاتهامات المغربية، لكون التنسيق العسكري بين حزب الله والبوليساريو يجري فوق الأرض الجزائرية وعبر سفارة ايران لديها. الخارجية الجزائرية استدعت السفير المغربي لديها، لإبلاغه احتجاجها على التصريحات المغربية، فيما ردّت الرباط ببيان مفصّل يتضمّن ردودا دقيقة على كل ما صدر من جانب الجزائر وايران وحزب الله.

ونسبت قصاصة لوكالة المغرب العربي للأنباء إلى متحدث باسم وزارة الخارجية والتعاون المغربية، إن المغرب يتفهم حرج الجزائر، "وحاجتها للتعبير عن تضامنها مع حلفائها، حزب الله وايران والبوليساريو، ومحاولتها إنكار دورها الخفي في هذه العملية ضد الأمن الوطني للمملكة".

وأضاف المصدر نفسه أن لمغرب يتوفر على معطيات دقيقة وأدلة دامغة تتعلق بالدعم السياسي والإعلامي والعسكري الذي يقدمه حزب الله للبوليساريو بتواطؤ مع إيران، "وقد أخذت السلطات المغربية الوقت الكافي للقيام بدراسة دقيقة لمجموع هذه العناصر قبل أن تتخذ قرارها

الكتابة الفسيفسائية!

محمد جايد

لم يخطئ الكاتب التونسي عيسى جابلي، في تعليقه على رواية 'الفسيفسائي' للكاتب المغربي عيسى ناصري، حين قال إن روايته هذه تعلق قارئها على مشجب التشويق منذ السطور الأولى. أجل، إنها تفعل ذلك بحبكتها المتعددة وبنية أحداثها المتقاطعة وأسلوبها الرشيق ولغتها المتينة... لكن أبرز ما يلفت انتباه القارئ هو اختيار مؤلفها الفني؛ ذاك الكامن في نسجها على لوحة الفسيفساء: ثمة ثلاث فسيفساءات (واحدة بباريس، وثانية بيت جواد، وثالثة تحت ردم وليلي) وثلاث روايات (ليالي وليلي، الفتى المروري، باخوس في العيادة) وثلاث فضاءات (مكناس، زرهون، وليلي)، الخ.

وبنية رواية 'الفسيفسائي' هي بنية مركبة ومتداخلة من حيث الأحداث والأزمنة والأمكنة. من ناحية أولى، ثمة ثلاث حكايات/أحداث رئيسة مقسمة على فصول منفصلة فيما بينها، هي حكايات الروايات الثلاث المشار إليها إعلاه، فضلا عن حكاية جامعة رابعة تتمثل في ما يقوم به مفتش شرطة لحل لغز جريمة معقدة.

ومن ناحية ثانية، يتواصل الحكي ذهابا وإيابا بين تسعينيات القرن الماضي (زمن الحكاية الجامعة) والعصر الروماني (زمن رواية 'الفتى المروري'). أما العنصر الثالث، وهو المكان، فيتوزع على فضاءات مختلفة في مكناس وزرهون ووليلي/فرطاسة (العيادة، بيت جواد، النزل، البيت المستأجر بزرهون، المقهى، الموقع الأثري في وليلي، المدرسة، الفيلا...).

واستثمر الكاتب مصادر أخرى في بناء أحداث روايته وتسلسلها، إلى جانب الروايات الثلاث التي تضمنتها الرواية الجامعة، منها: مذكرات، أحلام ورؤى، قصاصات صحافية، مراسلات، اقتباسات معرفية، الخ. تحتل هذه المصادر مواقع خاصة داخل الرواية، وتطرز المتن الروائي، سواء بما تقدمه على مستوى تطور الحدث الروائي، أو بما تبلوره من معارف تعكس مستوى الشخصيات. ينبغي ألا ننسى أننا أمام شخصيات متعلمة (أستاذ وروائي، مدير مدرسة وكاتب، طبيبة نفسانية وكاتبة، باحثة أمريكية وروائية، مفتش شرطة وقارئ نهم...). ومما لا شك فيه أن أحد أهداف توظيف هذه المصادر يكمن في خدمة تلقي الرواية على العموم.

في هذا الجانب- أي تلقي الرواية-، لا بد أن تقود قراءة الرواية إلى السؤال التالي: ما الغاية من تأليف رواية في موضوع سبق أن تناوله روائي آخر هو محمد أمنصور؟ تلتقي رواية أمنصور 'دموع باخوس' مع رواية 'الفسيفسائي' في معالجتهما سرقة تمثال إله الخمر الروماني من وليلي سنة 1982؛ ومن ثمة، معالجتهما موضوع سرقة الآثار في المغرب. أضف إلى هذا حضور الآخر الغربي من خلال 'شيلا' الأمريكية في رواية أمنصور، و'أريادنا نويل' و'لينا' الأمريكيتين في رواية ناصري. هل الأمر مجرد مصادفة؟ أم أنه يتعدى ذلك إلى مشاكسة روائية بين العملين، قد يكون الغرض منها تقديم مشهدية تخييلية مغايرة حول الموضوع؟ الإجابة عن هذا الإشكال رهينة بما سيقدمه التلقي النقدي حول هذه المشاكسة المفترضة حتى الآن.

> **ما الغاية من تأليف رواية في موضوع سبق أن تناوله روائي آخر هو محمد أمنصور؟**

ثمة ملاحظة أخيرة تتعلق باللغة السردية في رواية 'الفسيفسائي' (وهي ملاحظة تهم، في الحقيقة، مجموعة من الأعمال الروائية المغربية والعربية). قلت إن هذا العمل يتألف من ثلاث روايات رئيسة ورابعة جامعة. لكل واحدة منها سارد خاص؛ أي أن كل واحدة منها ينبغي أن تتميز عن الأخريات بلغة خاصة، بصوت خاص، بأسلوب خاص، بمفردات خاصة... للأسف الشديد، هذا التنوع الصوتي/اللغوي المفترض منتفٍ في 'الفسيفسائي'، إذ نقرأ الرواية بنفس سردي/ لغوي واحد من البداية حتى النهاية. كان من المفروض أن تكون لغة الرواية 'فسيفسائية' أيضا، بما يسمح بظهور تباين واختلاف لغات الأستاذ والطبيبة والروائي الأمريكية، على غرار تباين واختلاف رؤى شخوصها وأحداثها وأمكنتها وأزمنتها، الخ.

ومع ذلك، لا بد من القول إن هذه الملاحظة لا تقلل من أهمية الرواية، كونها تمثل إضافة نوعية إلى الأدب المغربي المعاصر الذي يجدده شباب متحمس راغب في تجاوز انغلاق تجريبية الجيل السابق، وفي ترسيخ نمط أدبي قائم على تعميق التجربة الإبداعية، دون أن ينسى توسيع هوامش القراءة والتلقي. وبما أن السارد أشار، في نهاية الرواية، إلى أن الرواية مرشحة إلى جائزة مرموقة في الإمارات، فإني أرشح 'الفسيفسائي' للفوز بجائزة البوكر العربية، وإلا ستكون من نصيب 'قناع بلون السماء' للفلسطيني باسم خندقجي. تقتضي الموضوعية ألا تخرج الجائزة عن أحد من الاثنين.

الخوف من الاجتهاد

يبدو أن مبادرة مراجعة مدونة الأسرة بدأت تثير حفيظة مكونات معينة من المجتمع المغربي، بخلاف ما حصل مع لجنة امحمد بوستة في مستهل الألفية الجديدة. ثمة عوامل متعددة قد تفسر هذا الموقف، وإن كان متباينا، ظاهريا على الأقل. ثمة عوامل ذاتية متصلة بطبيعة انتماءات بعض أعضاء اللجنة السياسية والإيديولوجية، وأخرى موضوعية تتمثل في الفهم الديني السائد في البلد، وفي تراجع خطاب الثقافة التقدمية والحداثية، ناهيك عن أثر خطاب المؤامرة الذي اكتسب زخما كبيرا خلال السنوات الأخيرة، خاصة في جانبه المتصل بمحاربة الدين.

لنترك هذه العوامل جانبا، ولنركز على مسألة مهمة تتمثل في موقف المجتمع- في جزء منه على الأقل، حتى لا نعمم- من بعض المبادرات الرامية إلى إصلاح بعض المصادر القانونية والتنظيمية في البلد، وفي مقدمتها تلك التي تتصل بالدين (إذ لا نلحظ التفاعل ذاته في قضايا تهم الضريبة أو التعليم أو الصحة أو الانتخابات أو ما شابه ذلك). يعكس موقف المجتمع هذا تخوفا واضحا من مسألة الاجتهاد في مجال الأسرة على الخصوص. يتناسى كثيرون أن واقع الأسرة اليوم يشهد مشكلات جمة، أبرزها نسبة الطلاق المرتفعة التي تترجم نوعا من الفشل الأسري والإخفاق القانوني والتنظيمي. كما يتناسون أن النصوص القانونية والتنظيمية ليست نصوصا مقدسة، وأن كل مبادرة قانونية تحتاج، شئنا أم أبينا، إلى تصحيح وتنقيح بعد فترة معينة من الممارسة.

صحيح أننا أمام قانون يطرح حساسية خاصة، لأنه يستلهم أهم بنوده من النصوص الإسلامية الأساسية، أي القرآن والأحاديث. وصحيح أيضا أن هذه النصوص تتسم بطابع قدسي، لكنه يحتمل في الآن ذاته هامشا واسعا ومعقدا من التفسير والتأويل. لكن علينا أن نقر بأن ما نشهده اليوم في مجال تنظيم الأسرة- ليس المغربية فحسب، بل أيضا العربية والإسلامية- هو نتاج اجتهادات فقهاء وأئمة وتأويلاتهم المتواطئة التي حاولت أن تعالج المشكلات المطروحة، انطلاقا من أوامر هذه النصوص ونواهيها، ومن إعمال الاجتهاد العقلي لحل القضايا والمشكلات المستجدة.ضرورة الاجتهاد العقلي نابعة من ضرورة أخرى هي: الاستفادة من إمكانيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي من شأنها أن تساعد رجال الدين على فهم واقع المجتمع وتحولاته المتسارعة فهما أفضل. ولنا في التاريخ أمثلة دالة: ألم يسع ابن رشد، في كتابه 'بداية المجتهد'، إلى الحد من تأثير التقليد القوي داخل مجتمع متعدد، هو مجتمع الأندلس الذي اتسمت حياته اليومية بواقع اجتماعي يقع على تخوم ديانات مختلفة، مثل المسيحية واليهودية والإسلامية؟ ألم يعمل بالاجتهاد في القضايا التي طرحت وقتها اختلافا حادا بين الفقهاء؟ كان منهج ابن رشد، في هذا الباب، يرمي إلى ترجيح كفة العقل والمنطق على كفة النص والنقل، وكسر باب الجمود والتقليد، خاصة في ما يتصل بالفروع؛ أي في ما يفرزه الواقع من أسئلة وقضايا ومستجدات...

لست هنا بصدد دفاع مسبق عن مشروع منتظر، ولا عن سمة مفترضة تميز أعضاء اللجنة، بل أروم توضيح مسألة أساسية، قوامها بناء رأي موضوعي متماسك بخصوص جدل كثر فيه القيل والقال من قبل أناس لا يركزون فيها سوى على الجانب الديني. كما أنهم لا يعون جيدا حساسية المدونة وتعقيداتها وأبعادها الاجتماعية والثقافية والنفسية والمادية، بل لا ينظرون إلى نتائج الممارسة الراهنة التي أفرزتها المدونات السابقة، وهي نتاج خالص للتفسير الفقهي، ولا دخل فيها للاجتهاد العقلي، أكان محليا محضا أم إملاءا غربيا دخيلا، إلا في حدود ضئيلة جدا.

من هنا، ينبغي ألا يحول هذا الخوف من الاجتهاد والتفكير الجديين في إنتاج أسس ومفاهيم جديدة حول الأسرة؛ أسس ومفاهيم من شأنها أن تساعد على تجاوز هذا الإفلاس الذي نراه بجلاء في الشارع والمدرسة ومكتب العمل وغير ذلك. ينبغي لمشروع، مثل هذا، أن يبني الثقة بين أفراد المجتمع، بين الأب والأم، بين الأخ والأخت، بين الأسرة ومحيطها، بما يجعل الأسرة العماد الأساس في المجتمع برمته. يجب أن يتأسس على فلسفة قيمية مغايرة، قوامها المساواة والانفتاح، لا التبعية والانغلاق، والمشاركة والمشورة، لا الاستفراد والتحكم... ما لم نؤمن بنوع من التفكير العابر لكل الحدود المؤمن بما سماه المفكر الراحل عبد الكبير الخطيب بالنقد المزدوج، فسيبقى المجتمع خاضعا لأشكال مختلفة من الهيمنة والتسلط على الدوام. وهذا ما تبتغيه جهات كثيرة لا تريد للمجتمع أن يتخلص من قيوده وأغلاله.

محمد جليد

السينما الأمازيغية تتوحد في غرفة

بادرت مجموعة من المخرجين والمنتجين والفاعلين السينمائيين إلى تأسيس هيأة خاصة بالإنتاج السينمائي الأمازيغي تحت مسمى "الغرفة المغربية للإنتاج السينمائي الأمازيغي. في هذا السياق، ذكر بلاغ لمؤسسي الهيئة أن هذه الغرفة، التي تعد أول إطار يعنى بالنهوض بالقطاع السينمائي الأمازيغي، تأتي تماشيا مع المقتضيات الدستورية الخاصة باللغة والثقافة الأمازيغية، ولما تكتسيه السينما من أهمية في الترويج للثقافة والهوية الأمازيغية.

وأضاف المصدر ذاته أنه تأسيس الغرفة المغربية للإنتاج السينمائي المغربي يأتي في مسعى للدفاع عن المصالح المهنية لكل المهنيين الذين يتمثل نشاطهم في إنتاج الأفلام السينمائية الأمازيغية على وجه الخصوص. وتطمح الغرفة، حسب البلاغ، إلى توحيد قوى المنتجين والمخرجين ومختلف الأطقم الفنية والتقنية العاملة في مجال السينما الأمازيغية، وإرساء نظام مستدام لهذه الصناعة وتحسين ظروف اشتغالهم، وكذا البحث عن موارد تقنية ولوجستيكية للنهوض بالسينما الأمازيغية، من خلال خلق شراكات مع مختلف المؤسسات.

وتهدف الغرفة المغربية للإنتاج السينمائي الأمازيغي أيضا إلى المساهمة في تنظيم المجال السينمائي عموما والأمازيغي خصوصا، والانفتاح على كل المبادرات التي من شأنها تنظيم الإنتاج السينمائي الأمازيغي والدفاع عن تطويره. تجدر الإشارة إلى أن المكتب المسير للغرفة المغربية للسينما الأمازيغية يضم كلا من أيوب المحجوب رئيسا، وأيوب أيت بيهي نائبا للرئيس، ولحسن فارح كاتبا عاما، وعبد الحق الهاديوي أمينا للمال، وعبد الرحمان العلمي مستشارا.

كأن أزراغيد "ذاهب إلى الحرب"

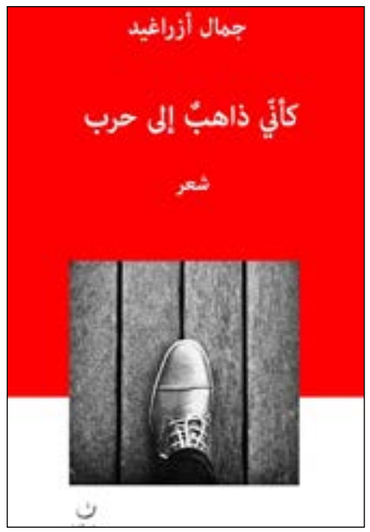

صدر للشاعر المغربي جمال أزراغيد ديوان جديد بعنوان 'كأني ذاهب إلى حرب'، ضمن منشورات بيت الشعر في المغرب'. ويقع في 96 صفحة من الحجم المتوسط، ويتضمن ست عشرة قصيدة متعددة الثيمات والمناخات الشعرية التي سبق للشاعر أن نشر معظمها بالملحق الثقافي لجريدة 'العلم' وجريدة 'القدس العربي'.

ويضم الديوان مجموعة من القصائد جاءت على الشكل الموالي: مرايا يلفها سكون الكون، حين يتجرعني صوت الكون، ارتباك في فلوات الروح، صور بلكنة المجاز، نجوم تغزل وحدتي، زمن يتغبش خلف الباب، لا شيء لي، خيوط سُلت من نار، نتوءات على خاصرة الشروق، قصائد طارئة، حياة في خُصلة شعر، موسيقى الوجود، وشوشات عند باب القلق، جلجلة السكون، شارع يخنقه الفراغ، حناجر تتفقد روحها.

وهذا الديوان، الذي وضع صورة غلافه الفنان الفوتوغرافي عادل أزماط، هو الخامس ضمن إبداعات أزراغيد الشعرية، بعد دواوينه الأربعة التالية: 'أسماء بحجم الرؤى' (1998)، 'غنج المجاز' (2011)، 'حوريات بقدم الكون' (2018)، 'سمائي خفيفة... أيها البياض'.

تعديل المدونة.. "الحداثيون" و"الأصوليون" والاشتراط على الدولة (3)

تيزاوعجمه

إيديولجي بعينه، رغم أنه لا يعكس الحاجة الاجتماعية بشكل مباشر، فربما يحقق مصلحة الدولة والمجتمع معا، ويعفيهما من تبعات "تعبير مباشر عن التناقضات الاجتماعية الداخلية" في شرط لا يحتمل ذلك، وفي ظل ثانوية التناقضات الداخلية مقارنة بالتناقض الأساسي مع الرأسمالات الكبرى (الغربية خاصة). وهكذا فإن التناقض الإيديولوجي يحقق المصلحة في ثلاث حالات:

-حقيقة التناقض بين "الأصوليين" و"الحداثيين"

للتناقض بين "الأصوليين" و"الحداثيين" حقيقة اجتماعية باطنة مرتبطة بالجوهر الاجتماعي للتناقض الداخلي، كما هي مرتبطة بالتفاوت العالمي شمال/ جنوب. وبدل أن تنعكس الحقيقة الاجتماعية في بنيتها السياسية الحقيقية، تنعكس في بنية تخفيها وتضفي عليها طابعا سحريا يسحر أعين الناس. نورد "السحر" هنا بمعنى ماكس فيبر، أي تلك المقولات المختلفة التي تحول بين الإنسان والحقيقة كما هي.

قد يكون للسحر معنى إيجابي أو سلبي، حسب المطلوب تاريخيا. ولذلك فإن توجيه النظر إلى صراع

> **يعبر الصراع المذكور عن زيف في "الممارسة العملية" أي في الخطاب والنضال السياسيين**

-حفظ الاستقرار الاجتماعي والسياسي: حيث لا يتحقق التوازن بالتناقض الاجتماعي الداخلي، وإنما بتضبيب هذا التناقض وإخفائه وصبه في قالب إيديولوجي يعبر من ناحية عن تفاوت نظري بين ضفتي المتوسط، ومن ناحية أخرى عن تعايش منطقين في منطق واحد، ومن جهة ثالثة عن رغبة ما في حفظ تناقض إيديولوجي يؤدي أدواره المطلوبة. عموما، يسود هذا النوع من الممارسة في المراحل الانتقالية، أو عندما يكون الاستقرار الداخلي مهددا باستهداف أجنبي.

-إنتاج المخاطب لكل ضغط أجنبي: إن "حداثة" خارج منطق الدولة قد تربك حساباتها وقد تجعلها عرضة للابتزاز الأجنبي تحت قناع "الحداثة"، وهذا ما يفرض على الدولة إنتاج "حداثة" خاصة بها، حداثة تمارس الضغط المضاد على الأجنبي مهما صعّدت خطابها في الداخل، وهي نفسها الحداثة التي تمتص أخطار الحداثة الوافدة وتفرغها من محتواها إذا تعلق الأمر بشرط زمني يقتضي النزول عند رغبة "حداثيي الخارج" بتنصيب "حداثيي الداخل". نفس الأمر يقع مع "الأصوليين"، لمخاطبة إرادات أخرى تراهن على "السلفيات" أو "الإسلام السياسي".

-إنتاج النقيض لكل ضغط أجنبي: وهذا أمر مطلوب لتقوية موقع الدولة في مواجهة الضغوط الأجنبية، والاحتجاج عليها بحركة المجتمع. النقيض هنا قد يحتج على قرار ما في الدولة، إلا أنه لا يتعدى به رفع الحرج عنها في مواجهة الضغط الأجنبي، أو في ردع بعض أصواته في الداخل. وهذا من "مكر التاريخ" (بتعبير هيجل)، حيث تمكر الضرورة السياسية بأصحاب "المثل" من حيث يحسبون أنهم يمكرون بها. يتعالون على الواقع و"الحساب ببيض النمل" (بتعبير لينين)، فيسقطون بمحض "إرادتهم" في الاستراتيجية الكبرى.

هذا ولا يُحقق "الصراع الإيديولوجي" المصلحة في حالة واحدة وهي التي يصبح فيها التعبير المباشر عن الحقيقة الاجتماعية الداخلية، أو الخارجية، أساسا للتوازن والاستقرار. في هذه الحالة بالذات، يعبر الصراع المذكور عن زيف في "الممارسة العملية"، أي في الخطاب والنضال السياسيين، كما ظل يعبر عن زيف نظري منذ البداية (نستعمل هنا الإيديولوجيا كقناع، راجع "مفهوم الإيديولوجيا" لعبد الله العروي).

بالنسبة لموضوع "تعديل مدونة الأسرة"، فإنه ليس ببعيد عن المذكور أعلاه، خاصة إذا تحدثنا عن السجال الدائر اليوم بين "الأصوليين" و"الحداثيين". إن التناقض الرئيس اليوم ليس داخليا، وإن التناقض الإيديولوجي بين الطرفين المذكورين ربما يؤدي غرضه في "حفظ التوازن" و"إنتاج المخاطب" و"إنتاج النقيض"، فضلا عن اختبار مجتمعٍ هو دائما في حاجة إلى رصد تحولاته واستثمار حركاته وقواه الحية والتي هي في طريقها إلى الحياة. ولا ينفي هذا حاجة التشريعات إلى مراجعة موضوعية وواقعية، فتلك غاية أخرى ربما تتحقق في خضم تدبير "الضغط الأجنبي" واستثمار "التناقضات الإيديولوجية"!

سقراطيس.. أسطورة الكرة البرازيلية الذي كرّس حياته للديموقراطية

محمد الحاجي

بخلاف غيره من نجوم منتخب البرازيل التاريخيين، لم يمتلك سقراط برازيليرو سامبايو دي سوزا فييرا إي أوليفيرا، المعروف اختصارا بإسم سقراطيس، قصة مأساوية في طفولته، ولم تنتشله كرة القدم من الفقر، بل لم يسع يومًا لأن تكون كرة القدم مصدرا لدخله وتعويضا عن مرحلة ما من الحرمان المادي والاجتماعي.

ازداد سقراطيس في 19 فبراير من عام 1954، وعاش طفولة في كنف عائلة ميسورة، وتأثر بحب والده للكتب، فأدمن القراءة والاطلاع، ما جعله يحلُم بأن يصبح طبيبًا في المستقبل، بينما كانت كرة القدم بالنسبة للطفل القادم من مدينة "باڑا" البرازيلية مجرد وسيلة لالتقاط الأنفاس عقب ساعات مستمرة من الضغط المدرسي.

للمفارقة، كان سقراط متميزًا في كرة القدم بالفطرة، على الرغم من عدم اكتراثه بتنمية موهبته، وهيئته اللا متناسقة، التي لم تكن تعكس ذكاءه وتفرّده عن أقرانه، وهكذا لم يتوقع أحد من محيطه أن يصل الفتى المجتهد في دراسته، إلى الشهرة كلاعب كرة قدم فذ.

المثير في قصة سقراطيس كان هو رفضه لأول عرض احترافي قُدم له من نادي بوتافوغو البرازيلي، حيث كان يرى في هذه اللعبة وسيلة للتسلية ليس إلا، في حين أراد أن يصّب كل تركيزه على دراسته للطب.

في النهاية توصلت إدارة النادي البرازيلي لصيغة تعاقدية تعفيه من حضور التدريبات، على أن يقتصر حضوره على المباريات الرسمية فقط. ومن هنا، أصبح الشاب اليافع قادرًا على كسب المال من الكرة، والاستمرار في دراسته العليا، لكن سرعان ما أصبح سقراطيس أفضل لاعبي بوتافوغو، غير أنّه لم يكن مستمتعًا بذلك، فبغض النظر عن نظرته لكرة القدم كمرحلة مؤقتة في حياته، لم يكن معجبًا بتسلّط الأندية، حيث عقود احترافية أشبه بالسخرة، وأندية تستغل حاجة الشباب للعب كرة القدم للهروب من واقعهم المزري.. كانت شخصيته الثورية تطغى على كل حواراته حول هذا الموضوع داخل محيطه الكروي.

في 1977، حصل سقراطيس على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة ساو باولو، ليحقق أول أهدافه التي خطط لها منذ نعومة أظافره، ليوضع أمام اختبار حقيقي بعدما عرض عليه بوتافوغو راتبا يساوي أضعاف ما يمكن أن يتقاضاه إذا ما قرر اتخاذ الطب كمهنة، لكنه قرر في الأخير أن يواصل مع ناديه بنفس الشروط السابقة التي تتيح له مزاولة المهنة التي حلم بها كثيرا في طفولته.

عاما واحدا بعد ذلك، سينتقل

سامبايو دي سوزا فييرا إي أوليفيرا

سقراطيس إلى نادي كورينتيانس الأقوى، حيث استطاع أن يُظهر للعالم أن البرازيل تمتلك لاعبًا فذا، وقائدًا مفوهًا يمكنه قيادة كتيبة مدججة بالنجوم داخل منتخب السيليساو.

لم يكن سقراطيس طبيبا ولاعب كرة فذ فقط، بل كان مثقفا خبر عوالم الفلسفة ومذاهبها الفكرية، وكان من أكبر هواجسه الثائرة هو تحقيق الديمقراطية ومناهضة الاستبداد بجميع أشكاله، ومساندة الطبقات العمالية.

في مطلع الثمانينيات، كانت البرازيل لا تزال عالقة تحت قبضة الحكم العسكري الديكتاتوري، إضافةً إلى زيادة معدلات التضخم الاقتصادي، مما كان يشير إلى اقتراب اندلاع ثورة شعبية حقيقية تأخرت لنحو عقد من الزمان. ومن موقعه كقائد لمنتخب البرازيل ونادي كورينتيانز، أراد سقراطيس أن يستغل مكانته كنجم كرة قدم شهير، فقاد حملة عُرفت بـ"ديمقراطية كورينشيانز"، وهي حركة رمزية منحت جميع المحسوبين على النادي بدايةً من اللاعبين، وصولًا للعمال، مرورًا بالطاقم الفني والإداري والطبي الحق في التصويت على كل صغيرة وكبيرة تخص النادي.

في الواقع، لم تكُن الحملة تستهدف تغيير نظام تسيير النادي فحسب، بل كانت خطوة رمزية وإشارة ضمنية لما يجب أن يطالب به الشعب البرازيلي من قادة البلاد الحاكمين بالحديد والنار.

بعد فشل البرازيل في حصد كأس العالم 1982، تلقى سقراطيس انتقادات واسعة من البرازيليين حيث اتهم بعدم الوفاء بوعده باستعادة اللقب العالمي، خاصةً وأن الجيل الذي شارك في مونديال إسبانيا، كان أحد أبرز الأجيال في تاريخ بلاد السامبا، بل

> **في 1977 حصل سقراطيس على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة ساو باولو**

يتم وصفه بأنه الجيل الذي لعب أجمل كرة قدم عبر التاريخ.

لكن عقب نهاية كأس العالم، مباشرة اتجهت الأنظار إلى نهائي بطولة الباوليستا، الذي جمع كورينشيانز ممثل الطبقة الكادحة، وساو باولو ممثل الأغنياء واليمينيين المحافظين، وبالطبع انتهت قصة مباراتي الذهاب والإياب نهاية مثالية، حيث توّج كورينشيانز باللقب، بعد الفوز بمجموع 4 أهداف لهدف واحد، وكانت أهم لحظات ذلك النهائي هو مشهد سقراطيس وهو يحتفل بهدفه رافعا قبضته إلى لسماء، وكأنه يقدم التحية للمتمردين، الذين حملوا لافتات توسطتها كلمة واحدة "ديمقراطية".

سادت في تلك الفترة حالة تمرد في الشارع البرازيلي، مطالبة بتعديل قوانين الانتخابات، وإنهاء الحكم العسكري المستبد، لكنها اصطدمت بعنف شديد، ومؤامرة منعت تمرير مشروع تعديل القانون، حيث مُنع نحو 113 عضوًا من أعضاء الكونجرس البرازيلي من الإدلاء بأصواتهم بالموافقة على تغيير القانون، ومجددا، يقرر سقراطيس ألا يقف مكتوف الأيدي، مهددا برحيله صوب إيطاليا إن لم تتم الاستجابة لمطالبات الشعب الذي ذاق الأمرين مع القمع والاستبداد لقرابة 20 عاما، ومع استمرار التعنت، رحل متوسط ميدان كورينتيانز صوب إيطاليا، ليلعب في صفوف فيورينتينا ويعرف بمطالب الشعب البرازيلي خارج البلاد.

لم تستمر مسيرة سقراط في إيطاليا كثيرًا، حيث عانى من كونه نصف محترف، وهو ما كان يتعارض قطعًا مع طموحات الفريق الذي أراد أن يصنع فريقًا قويًا من حوله، بالتالي أصبحت مسألة استمراره في دوري متطلب مثل الدوري الإيطالي معقدةً جدًا، خاصة بعد تكرار تعرّضه للإصابات وعدم التزامه.

لكن لم يستمر مقامه طويلا في إيطاليا، بعدما استطاعت الثورة الشعبية أن تطيح بالحكم العسكري الدكتاتوري في البرازيل، فوجد سقراطيس نفسه مجددًا يعود لبلاده ممثلًا لفريق فلامنجو رفقة صديقه الأسطورة زيكو، حيث تمكن من أن يحقق بعض حلمه القديم في لعب كرة القدم داخل بلاده وهي تنعم بقليل من الديموقراطية والحرية ويواصل فيها نضاله من أجل العدالة الاجتماعية وحقوق الطبقات المسحوقة والمهمشين من الشعب البرازيلي.وفي الرابع من دجنبر من عام 2011 توفي سقراطيس عن عمر ناهز ال57 سنة بعد مرض مفاجئ لم يمهله طويلا في البقاء على قيد الحياة والنضال، لكنه رحل وترك تاريخاً عظيماً في كرة القدم ونجاحات فردية دخل لها قلوب البرازيليين وكل أحرار العالم بقضية الكفاح والوقوف بجانب الطبقة الكادحة ومن يناموون على الإسفلت مناضلا يلامس شيئا من معاناتهم، وتضحية من إنسان جمع بين المبادئ الإنسانية بنفس القدر من التميز الأكاديمي والرياضي فدخل التاريخ من أوسع أبوابه.

خطط كرة القدم.. من النشأة إلى اليوم

محمد الحاجي

عرفت كرة القدم في بدايتها المنظمة عبر البطولات والنوادي والمنتخبات شكلا من اللعب هو أقرب إلى الفوضى التي كان يجري فيها اللاعبون جميعهم نحو تسجيل الهدف في مرمى الخصم، دون التقيد بالمراكز أو التخصص في الدفاع

أو وسط الميدان أو الهجوم، حيث أُعِبَت على مدار سنين طويلة بشكل عشوائي، وكانت أغلب التشكيلات هجومية بشكل جنوني بتشكيل 1-2-7، إلى أن ظهر المدرب النمساوي كارل رابان وإيقانا منه بعدم قدرة لاعبيه على تطوير إمكانياتهم البدنية والمهارية لتصبح مثل اللاعبين المحترفين في منتخبات وفرق البلدان المجاورة مثل إيطاليا، فرنسا وألمانيا، وردا على أساليب اللعب الهجومية التي كانت متفشية في ذلك الوقت قام في عام 1932 بابتداع خطة جديدة دفاعية تمامًا يعجز المنافسون عن مواجهتها وهي خطة السلسلة.

ظهور خطط الدفاع

بدأ المدرب النمساوي كارل رابان بتنفيذ خطة السلسلة التي تشكلت على أرض الملعب بطريقة 5-4-1 وكانت تعتمد على خط دفاعي مكون من أربعة لاعبين يلعبون بأسلوب الرقابة اللصيقة مع لاعبي الفريق الخصم، إضافة إلى لاعب خامس له نزعة دفاعية كبيرة خلف خط الدفاع الرباعي وأمام حارس المرمى مباشرة، وكانت يسمى رجل القفل (أو الليبرو كما سيعرف فيما بعد)، وأمام خط الدفاع يتواجد خط وسط مكون من لاعبين إثنين في القلب مع جناحين يتقدمان للأمام وأمام خط الوسط كان المهاجم الوحيد للفريق.

بموازاة مع خطة السلسلة النمساوية، ظهرت في ايطاليا ما يسمى بالكاتيناتشيو ومعناه "القفل" وهو تكتيك ايطالي خالص ابتكره مدرب أنتر ميلانو هيلينيو هيريرا، كان يعتمد على الدفاع طوال الوقت واستغلال الفرصة المثالية (سواء من هجمة مرتدة، كرة ثابتة أو اقتناص أخطاء الخصم) لتسجيل هدف الفوز ثم العودة بكامل اللاعبين للدفاع في المنطقة القريبة من المرمى عدا ثنائي الهجوم وهو ما جعل هجمات المنافسين مجرد تمرير عرضي للكرة بين لاعبي الفريق المنافس دون أي فاعلية في ظل عدم تواجد أي ثغرة لاختراق دفاعات إنتر ميلان.

عودة الكرة الهجومية مع البرازيل

الخطط الدفاعية للنمساويين والإيطاليين لم تستمر في الإنتشار طويلا، حيث عادت الكرة الهجومية لتفرض نفسها من جديد وتزاحم خطط الدفاع وإغلاق المنافذ، لكن هذه المرة وعلى خلاف البداية الفوضوية جاءت أكثر تنظيما على يد منتخب البرازيل خلال فترتي الخمسينات والستينات عبر تشكيل 4-2-4 التي قضت على التوهج الايطالي آنذاك، وجعلت من البرازيل في تلك الفترة منتخبا لا يقهر، وتوجت سيطرته بإحراز لقبي كأس العالم لدورتي 1958 و 1962.

ثورة الكرة الشاملة

في عام 1970 بدأت ثورة التكتيك في عالم كرة القدم من هولندا وبالتحديد في نادي أجاكس أمستردام ظهر المدرب رينوتز ميتشيل، مبتكر أسلوب الكرة الشاملة، وهي طريقة تعتمد على دفاع المنطقة وضغط متواصل على الخصم وتكامل بين خطوطه الثلاثة، أي أن الكل يهاجم ويدافع في آنٍ واحد، وفي الكرة الشاملة إذا غيّر أحد اللاعبين مركزه، يتم تغطية مكانه من قبل لاعب آخر من نفس الفريق، وبهذه الطريقة يتم الحفاظ على نفس الهيكل التشكيلي المرسوم من قبل المدرّب.

وإذا نظرنا إلى هذا الأسلوب الكروي المرن، سنستنتج أنه لا يوجد مركز ثابت للاعب في الملعب باستثناء حارس

المرمى، فأي لاعب يستطيع أن يتحوّل بنجاح إلى مهاجم أو لاعب وسط أو حتى مدافع.

انتقل رينوتز ميتشيل بطريقته الجديدة من أجاكس أمستردام الى المنتخب الهولندي واستطاع الوصول بها إلى نهائي كأس العالم في دورتي 1974 بألمانيا الغربية، ثم دورة 1978 بالأرجنتين، لكن بعدها جاء يوهان كرويف ليطور هذه الفلسفة ويعطيها آليات جديدة عندما أصبح مدربا لبرشلونة في نهاية الثمانينات، وركز فيها على اللعب السلس، وهو مبدأ تناقل الكرات بأقل لمسات ممكنة بحيث كان يعتبر تمرير الكرة من اللمسة الأولى أمرا جيدا جدا، وبلمستين جيد، فيما ثلاث لمسات كان يعتبرها أمرا سيئا. هكذا ركز كرويف على السرعة في تناقل الكرات فيما بين اللاعبين مع الاعتماد على أسهل الحلول وعدم تعقيد الأمور، لأنه بالنسبة إليه كلما قلت المدة الزمنية للاعب الممتلك للكرة كلما كانت الهجمات والبناءات الهجومية أسرع.

بالإضافة إلى مبدأ الاستحواذ على الكرة حيث كان يرى يوهان كريف أنه كلما امتلكت الكرة أكثر كلما ضعفت إمكانيات الخصم وتشتت تركيزه على المباراة، وكان يعطي أهمية بالغة لتسجيل الأهداف، حيث كان يعتبر الفوز بنتيجة 5-4 خير من أن يفوز 1-0 وهنا تظهر نية كرويف ورغبته الهجومية فهو دائما ما يركز على الفعالية الهجومية وبالتالي فهو يركز بالأساس على غزارة الأهداف والنشاط الهجومي. كرويف لا يعترف بمبدأ هذا مهاجم وهذا مدافع فأدوارهم سواسية بالنسبة له واهم شئ ان يكون هنالك تبادل الأدوار بحيث ان على الظهير مساندة الجناح والعكس بالعكس وقد قال سابقا في تصريح آخر " حينما أتحدث عن الظهير فهذا لا يعني أن الجناح غير مسؤول " كرويف أبرز أن أي هفوة من الظهير فهي مشتركة بين هذا الأخير والجناح وبالتالي الزيادة العددية جد مهمة وخاصة في الحالات الدفاعية.

ظاهرة أريكو ساكي

في منتصف الثمانينيات، برز أريكو ساكي مع نادي أس ميلانو بطريقة لعب مثيرة، فرغم أنه إيطالي الجنسية، إلا أنه يختلف كليا عن مدرسة بلاده التكتيكية، فهو أول المدربين الذين تجرؤوا على كسر الفلسفة الايطالية الدفاعية، ليلعب بشكل هجومي وضغط لم يسبق له مثيل. جاء ساكي لميلان ونسف مبدأ الليبرو واعتمد على خطة 4-4-2 ولكن مع فلسفة واضحة والتي تتمثل في الضغط العالي، الدفاع المتقدم، النجاعة الهجومية الفعالة والفريق المنظم، حيث يدافع الفريق ويهاجم ككتلة واحدة فما بين اخر قلب دفاع ورأس الحربة 25-30 متر فقط! بالإضافة إلى المرونة التكتيكية.

أبهر ساكي العالم بفكرة تدريبية جديدة عرفت باسم "كرة الأشباح"، حيث ينزل اللاعبون أرض الملعب ويخبرهم ساكي بوجود كرة خيالية في الملعب ويأمرهم بالتوجه والتمركز على أساسها. قالوا عنه آخر السنين إنه مجنون، بعدما حقق نجاحات خيالية وأوصل فريق ميلان إلى المجد الكروي، سبب هذا المصطلح هو أنه أتى في زمن عصيب من ناحية اللياقة البدنية واسلوبه في اللعب يتطلب لياقة بدنية عالية جداً، ما أدى إلى "إنهاك" اللاعبين بدنياً تماماً، فدخل في مرحلة شك بذاته، وأعترف أنه لو أتى في هذا العصر لكان من الممكن ان يُقدَّم اكثر لكرة القدم.

تراجع الكرة المهارية لصالح التكتيك

مع بداية القرن الواحد والعشرين، خفت نجم الكرة المهارية لِتُستَبدل بالكرة التكتيكية، وتجلى ذلك في تراجع مستوى البرازيل والأرجنتين وباقي دول أمريكا اللاتينية لسنوات طويلة، رغم وجود لاعبين على مستوى عالي من الفنيات الفردية في صفوفها، إلا أن الكفة أصبحت تميل نحو اللاعبين الأقل قيمة مهارية ولكن المتفوقين بدنيا وذهنيا وتكتيكيا، حيث تحولت المهارة إلى اللعب بالقدمين والرؤية ودقة التمرير، كما ظهرت منتخبات ضعيفة اصبحت تعتلي منصات التتويج لأنها اعتمدت الاسلوب التكتيكي في تشكيلا تها.

عصر غواردیولا والتيكي تاكا

إنه المدرب السابق لعصره ذو الاسلوب الممتع كما يطلق عليه، وهو الذي غير من شكل كرة القدم الحديثة. اختلف غواردیولا عن البقية بكونه أتى في زمن طبق فيه أفكار كرويف وساكي على لاعبين مناسبين وزمان مناسب من ناحية اللياقة البدنية، حيث اشتغل على مبادئ أساسية في المزج بين الطريقتين، كان أهمها إلغاء أهمية اللاعب النجم داخل الفريق، والاعتماد على منظومة وحدة كاملة، بالإضافة إلى تقسيم الملعب إلى مستطيلات أكبر وأكثر عددا من الشكل الطبيعي، ثم المرونة التكتيكية والتحول من 4-3-3 إلى 3-4-3 إلى 3-5-2 في المباراة الواحدة.كما عمل غواردیولا على ابتكار مركز الظهير الوهمي، أي أن لظهيرين يتقدمل يدخلان إلى عمق لملعب على مستوى لاعب لالتكل، مما يخلف قلبي لدفل حدهما، ويأتي جع لاعب لالتكل للسقوط بين قلبي لدفل ليكون قلب فل ثالث يتحن قلبا لدفل أكثر، ثم قاعدة السبع ثواني التي تحتم على لاعبي فريقه استرجاع الكرة من الخصم في المدة المذكورة. ويعتقد الكثير من المحللين أن بيب غواردیولا أتى في فترة متطورة، استطاع فيها أن يطبّق أفكار كرويف وساكي ولو أن الاثنان في بداية التسعينيات، لم يستطيعا تقديم الكثير كون تكتيكهم يتطلب القدرة البدنية العالية والتي كانت مفقودة آنذاك.

من أجل تسوية فكرية ديمقراطية تعددية لإصلاح مدونة الأسرة

عبد النبي الحري

غريبة هي هذه التعليقات المتسرعة التي تسطّح النقاشات الجارية مغربيا، بخصوص إصلاح مدونة الأسرة، من خلال اختزالها في اختلاف وجهات النظر بين تيارين مجتمعيين اثنين: أحدهما "محافظ وتقليدي"، وثانيهما "منفتح وتحرري".

إن أول خطوة على طريق الفهم السليم لهذا الجدال العقيم هو التحرر من هذا التقسيم ذاته، نظرا لما فيه من تعسف على حقيقة الأطراف التي تعلو أصواتها على منابر النقاش المجتمعي حول قوانين الأحوال الشخصية، باعتبارها، جميعها، أصواتا محافظة سياسيا وفكريا.

فهي محافظة سياسيا، لأنها كلها تتبنى مشاريع سياسية يمينية عبارة عن خليط من الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهجينة، فهي تنتصر لاقتصاد السوق، لكن تحول بين أي منافسة حرة وحقيقية. كما أنها لا تخفي التزامها بوصفات المؤسسات المالية الدولية وتفتخر أنها المعبر الحقيقي عن توجهاتها، والمنفذ الأمين لتعليماتها الإصلاحية المنشودة. وهي أيضا، محافظة فكريا لأن كل جناح منها ينطلق من رؤية محافظة، بل مغرقة في المحافظة فيما يتعلق بالمرجعية التي يدعي الانطلاق منها.

وبيان ذلك أن الذين يتصدون للإصلاح باسم فكرة حقوق الإنسان ينطلقون من تصورات محافظة للمنظومة الدولية لهذه الحقوق. وفي الوقت ذاته، ينطلق أنصار "الدفاع عن الشريعة" مما استقر عليه الموروث الفقهي التقليدي من دون أي اجتهادات جدية ومتجددة قادرة على مواكبة التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الراهنة.

يتعلق الأمر بصراع بين أجنحة اليمين الفكري والسياسي المغربي، حتى وإن رفع بعضها شعارات ذات نكهة "يسارية" أو "ليبرالية" فضلا عن "الإسلامية"، إلا أنها في عمقها ذات جوهر محافظ بالمعنى المشار إليه سالفا.إننا، ما لم نتحرر من القوالب الجاهزة، ونتخذ مسافة نقدية منها، سواء تلك التي تنهل من اللاهوت السياسي الموروث، أو تلك التي تنهل من الإيديولوجيا المحافظة لحقوق الإنسان، لن نستطيع قراءة واقع الأسرة المغربية القراءة السليمة، لأن تلك القوالب القبلية المفروضة ستبقى تشكل عوائق إبستمولوجية تحول بيننا وبين رؤية الوقائع الأسرية كما هي في ديناميتها وحيويتها وتطوراتها المتسارعة.

> **يتعلق الأمر بصراع بين أجنحة اليمين الفكري والسياسي المغربي**

نحتاج إلى مراجعات عميقة وجدرية للتوجهات السائدة، على ضوء آخر مستجدات الجدل الفلسفي السياسي المعاصر، من أجل نقد هادف وبناء، سواء لمنظومة حقوق الإنسان في صورتها الفردانية، بدعوى "المعاصرة" و"التحديث" و"الانفتاح" أو للمنظومة الفقهية التقليدية التي ينهل منها أنصار اللاهوت السياسي المحافظ، بحجة "المعاصرة" و"الهوية" والدفاع عن "الثوابت المجتمعية الجامعة".

مناقشة تبتعد عن حوار الطرشان الجاري، والذي لا ينصت الخائضون فيه إلا لذواتهم المغلقة ونوازعهم الضيقة، دون إعطاء حق الكلمة للمخالفين، ومحاورتهم في عين المكان، بل يوظفون كل أدوات الإقصاء والسباب والتنابز بالألقاب من أجل سلب المخالف لهم حقه في الكلام.

تفيدنا الفلسفة السياسية المعاصرة في كشف

مجموعة من الحقائق الاجتماعية والثقافية، التي من شأنها أن تضعنا في موقع نظري متقدم على أطروحات كل من أنصار "المعاصرة" وأنصار "الأصالة" في مجتمعنا؛ وعلى رأسها أنه ليس صحيحا أن المجتمعات الغربية قد قطعت كليا مع الثقافات ما قبل الحديثة، وأصبحت كلها عقلانية خالصة، وليبرالية صافية، وديمقراطية تامة، فالتقاليد غير الليبرالية وغير الديمقراطية ما زالت ذات تأثير بالغ في الثقافة الشعبية، بل وحتى في الفلسفة السياسية الأكاديمية. بل إن الفيلسوف السياسي المعاصر ويل كمليكا (Will Kymlicka) يعتبر احتدام النقاش الفلسفي اليوم حول المبادئ الديمقراطية الليبرالية دليل على وجود هذه التقاليد "المحافظة". وقد فصّل الفيلسوف المذكور في جل كتاباته في نقد ما قامت به تاريخيا كل الديمقراطيات الغربية المعاصرة من ممارسات منافية للديمقراطية ذاتها، ولليبرالية نفسها، تجاه المجموعات الثقافية المغايرة والأقليات العرقية أو الدينية، والنساء، والعمال وغيرهم ممن سماهم فرانز فانون بمعذبي الأرض من السكان الأصليين، ونضيف إليهم نحن هنا المهاجرين الذين يعانون الويلات من النزعات العنصرية المقنعة والظاهرة في الديمقراطيات المعاصرة، والتي حرمت تلك المجموعات، في أكثر الأحيان، من الحقوق المدنية ومن تكافؤ الفرص وحتى من المواطنة الكاملة.

وفي هذا الصدد يذكر كمليكا أشكال متعددة من أيديولوجيات الاستبداد العرقي والهيمنة الذكورية أو النقاوة الدينية، التي لا تزال موجودة بأشكال خفية، داخل الثقافة الشعبية الغربية. لكن، الأمر لا يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه، في نظر فيلسوفنا، عند مفارقة المفكرين الليبراليين والأنواريين التي تجمع بين موقفين متناقضين: القول بالطبيعة البشرية الواحدة للبشر ولا شيء يبرر اللامساواة، والقول، في الوقت ذاته، بالاختلاف الطبيعي بين الرجال والنساء وتسويغ اللامساواة والتمييز.

ورغم الجهد الفكري الذي قام به الفكر الليبرالي لتجاوز فكرة دونية المرأة، يسجل كمليكا اعتبار رائدات الفلسفة النسوية أن المبادئ الفلسفية، التي تمت صياغتها في مرحلة سادت فيها العقليات والمصالح الذكورية، لا تزال قاصرة عن الإدراك الجيد لحاجات النساء وعن إعطاء تجاربهن المكانة التي تستحقها .

إن المطلع على الأدبيات الفلسفية النسوية المعاصرة، يلاحظ مع كمليكا، أن التنظيرات والتشريعات المناهضة للتمييز لم تأت بالمساواة بين الجنسين. ففي الولايات المتحدة وكندا تتفاقم مظاهر التمييز ضد النساء على مستوى الأجور في العمل، وهناك قلق تجاه "نسونة" الفقر.

ففي داخل الأسرة، تقوم النساء بالقسط الأكبر من العمل المنزلي، حتى عندما تمارسن شغلا وفق نظام الحصة الكاملة. وتظهر الدراسات أنه حتى الأزواج العاطلين عن العمل يقومون بنسبة من العمل المنزلي أقل مما تقوم به الزوجات اللاتي تشتغلن أربعين ساعة في الأسبوع. فضلا عن ذلك يتزايد باطراد العنف الأسري والاعتداءات الجسدية.

تقول إحدى الفيلسوفات النسويات ملخصة الوضع:

"لقد كان مقتضى المساواة أمام القانون عاجزا تماما عن منح النساء ما نحن في حاجة له وتمكينهن مما مانع المجتمع دوما في إعطائهن إياه متعللا بوضعهن البيولوجي الخاص: إمكانية التعبير عن ذواتهن وعن استقلاليتهن الشخصية مع ضمان حد أدنى من الاحترام والكرامة".

هكذا تنبه الذين ينتصرون للمقاربة القانونية، ويعتقدون أنها الحل الشافي والكافي لمشاكل الأسرة والنساء، إلى ما تطلعنا عليه الدراسات الفلسفية المعاصرة، خاصة في الفضاء الأنجلوساكسوني، بخصوص قصور كل المقاربات للمساواة بين الجنسين، التي تغفل عما يحدث داخل كوكبة الأسرة، والتي تم تسليط الأضواء عليها بشكل يجعلها اليوم أكثر جلاء. وتظل مسألة معرفة السبب الذي يمنع من أن يحظى العمل المنزلي بالاعتراف العمومي مسألة مطروحة.

فالأسرة، كما يقول ويل كمليكا، في سياق تقديمه للفلسفة النسوية المعاصرة، هي إطار هام للنضال من أجل المساواة بين الجنسين. ويبدو أن النسويات هن أكثر فأكثر إجماعا على ضرورة ألا يتوقف ذلك النضال عند المسائل المتعلقة بالتمييز ضد النساء داخل المجال العام وإنما لابد أن يواجه أيضا النماذج السائدة للعمل في البيت وما تعرضت له النساء من امتهان على صعيد الكوكبة الخاصة: أي الأسرة.

ليس صحيحا أن الفقه الإسلامي التقليدي هو الذي يحصر دور المرأة داخل هذه الكوكبة الخاصة، أي كوكبة الأسرة، بل إن معظم الفلاسفة الغربيين لم يتحرروا من هذه النظرة، وفي هذا الإطار تقول إحدى الفيلسوفات النسويات المعاصرات: "تتعارض نظريات آدم سميث وهيغل وكانط ومل وروسو ونيتشه في كل المسائل، لكن من الغريب أن هؤلاء الفلاسفة عندما يتطرقون إلى موضوع المرأة يبدون وكأنهم في جبهة متراص": يتفقون على حصر النساء في الكوكبة المنزلية باعتبار أن المرأة لا تعترف إلا بروابط الحب والصداقة، فهي تمثل خطرا في حلبة الصراع السياسي إذ يمكن أن تضحي بالمصلحة العامة لصالح ارتباطاتها الخاصة وتفضيلاتها الشخصية".

هذه النظرة ضاربة الجذور في الثقافة التقليدية المجتمعية، في أمم الغرب كما في أمم الشرق، وفي دول

الشمال قبل دول الجنوب، لم تجد معها المقاربات القانونية للمساواة بين الجنسين نفعا. ومن الخطأ اعتبار مجتمعاتنا متخلفة وتحتاج إلى قوانين وتشريعات يمكن الاعتماد عليها في المحافظة على كيان الأسرة في إطار من التكافؤ والمساواة.

وهنا لا نخص بالذكر أنصار القوانين "الحداثية"، ولكن أيضا أنصار القوانين المستمدة من فكر المحافظة والتقليد، فلا القوانين المستمدة من المنظومة الدولية لحقوق الإنسان، كافية لوحدها، لحل مشاكل المرأة، ولا القوانين المستمدة من الموروث الفقهي التقليدي كفيلة بالمحافظة على تلاحم الأسرة. إننا في حاجة، والحالة هذه، إلى تمرين فكري وثقافي وتربوي، يقطع مع المقاربات الفكرية الجامدة، التقليدية والمعاصرة معا، والتعالي عن كل أشكال التوظيف السياسي والإيديولوجي للموضوع، وتجنب كل ما من شأنه إلهاء مجتمعنا في المعارك الغلط التي تفتعلها في كل مرة التيارات المتصارعة، خدمة لأجنداتها السياسية الخاصة.هل معنى هذا أنه يتعين علينا انتظار عقود من الزمن قد يحتاجها هذا التمرين الفلسفي الذي ندعو إلى اختباره، ونترك دار لقمان على حالها، أو نتجاهل الدور الممكن للمقاربة القانونية في هذا التشريع أن تساهم به؟

الجواب قطعا سيكون بالنفي، فللمقاربة الإصلاحية للقوانين والتشريعات، والخاصة هنا بمدونة الأسرة، دور لا يمكننا الاستخفاف بأهميته، لكن بمنهج تشريعي لا ينتصر لا لأنصار "الحداثة التشريعية" ولا لأهل فقه الأسرة التقليدي. بل ندعو إلى منهج تشريعي يحترم كل الآراء المطروحة في ساحة النقاش العمومي، فلا المحافظون مستعدون للمس بما يعتبرونه مقدسات شرعية ولا الحداثيون مستعدون للقبول باستمرارية فرض القوانين التقليدية عليهم فرضا مطلقا. وفي هذا الإطار نقترح تسوية بيداغوجية للصراع المطروح، تؤمن بثقافة التعدد والاختلاف تقوم على المبادئ التالية:

1- تبسيط المسطرة القانونية التي تتيح للمواطنين تحديد الكيفية التي يريدون بها توزيع ثروتهم على أفراد أسرتهم بعد وفاتهم حسب معتقدهم الشخصي الذي تضمنه الشريعة كما يضمنه الدستور، مع التخفيض من تكاليف الرسوم المطلوبة لهذا الإجراء إلى أقصى حد ممكن، عوض هذه التكاليف الباهظة التي تبرم بها عقود "الصدقة" أو "الهيبة" وغيرها.

2- تبني مؤسسة الزواج على عقد، الذي يعتبر شريعة المتعاقدين، وعليه فيمكن للمرأة أن تشترط عدم قبولها بالتعدد في ذلك العقد، وحينها لا يحق للرجل الذي قبل بهذا العقد، بمحض إرادته، سلوك مسطرة التعدد.

> **الدور الذي تقوم به المرأة التي تسمى "ربة البيت" لا يقل قيمة بالنسبة للمجتمع**

3- التنصيص بشكل واضح وصريح أنه تبقى المرأة التي يهلك زوجها في بيت الزوجية معززة مكرمة، كما كانت في حياة زوجها، وأنه لا يحق للورثة الآخرين، وفي مقدمتهم أولادها مزاحمتها في بيت الزوجية، باي شكل من الأشكال، ولا يستفيدون بحقهم العيني من الإرث المتعلق ببيت الزوجية إلا بعد وفاتها. ويمكن تعميم الموقف ذاته على البنات اللواتي من دون إخوان ذكور وتوفي والدهم.

4- إن الدور الذي تقوم به المرأة التي تسمى ب"ربة البيت" وليس لها عمل خارجي، لا يقل قيمة بالنسبة للمجتمع، وعليه فلا ينبغي ربطه فقط بحقها في النفقة الزوجية، مادامت أعمال الرعاية هي خدمة مجتمعية عمومية، تقتضي تعويضات مجتمعية، تتكفل بها الدولة، ويتم تحديد قيمتها بحسب التكلفة المعيشية، مع ضمانات التغطية الصحية والاجتماعية، تماما مثل المرأة العاملة والموظفة، بما فيها تعويضات التقاعد، التي تضمن للمرأة التي بلغت هذا السن، حدا أدنى من العيش الكريم عوض أن يتركها المجتمع، الذي أفنت عمرها في خدمته من داخل قلعة الأسرة، عالة على أي من أقاربها.

5- اعتماد قوانين صريحة تضمن حقوق الطفل، أيا كانت وضعيته الإنجابية، وعدم تحميله خطأ الآخرين، ماديا ومعنويا، اعتمادا على الوسائل الحديثة في إثبات النسب، بشكل غير قابل للإفلات أو التحايل.

6- الاعتراف الكامل بحق المرأة في الوصاية على أطفالها وكفالتهم كما هي مكلفة برعايتهم والنفقة عليهم، تماما مثل والدهم بلا أي تمييز. هذه وتلك، هي المبادئ والأفكار، التي نعتقد أنها يمكن أن ترشدنا إلى بوصلة ديمقراطية تعددية لإصلاح مدونة الأسرة، تتجاوز اللغط الإيديولوجي والسجال السياسي الجاري في مجتمعنا، والذي نعتقد أن الاستمرار فيه يعد جزءا من المشاكل المطروحة ولا يمكن لأي طرف الاعتماد عليه في ابتكار الحلول المناسبة لها.

الصحوة الإفريقية

حمزة الأنفاسي

خلال الأيام الأخيرة، صعد إلى سدة الرئاسة في جمهورية السنغال الشقيقة الشاب الأربعيني باسيرو ديوماي فاي. الرئيس الجديد فاز في الانتخابات منذ الجولة الأولى بعد حصوله على أكثر من نصف عدد الأصوات، وهي اول مرة في تاريخ السنغال المستقل الذي يفوز فيها مرشح معارض منذ الجولة الأولى للانتخابات، مما يظهر حجم الدعم الذي حصل عليه فاي وحزبه المعارض داخل أوساط السنغاليين. وفي سابقة أخرى من نوعها، فإن فاي خرج من السجن عشرة أيام قبل تاريخ إجراء الانتخابات، ليحصل بعدها على تفويض من المواطنين السنغاليين من أجل قيادة الدولة التي تعتبر واحة للديمقراطية في المنطقة.

الرئيس الجديد فاي قام بإلقاء إشارات لطمأنة شركاء السنغال، لكن نبرة حزبه اللاذعة لفرنسا لعبت دورا مهما في استقطاب عدد كبير من السنغاليين، حيث أن صديق فاس ورفيق دربه في النضال عثمان سونكو طلب من فرنسا في خطاب سنة 2021 أن تترك السنغال وإفريقيا لشأنهم وعن ضرورة القطع مع مظاهر استغلال فرنسا لدول إفريقية عديدة. هذا الخطاب لم يعد خطابا معزولا في عدة دول إفريقية، بل يعبر عن واقع يقتسمه العديد من سكان إفريقيا. رأينا كيف عبر رؤساء أفارقة شباب جدد عن نفس الفكرة (كالرئيس البوركينابي الجديد إبراهيم تراوري): فكرة التحرر من قيود فرنسا السياسية، الاقتصادية، والعسكرية، وحثهم الشعوب الإفريقية على الثقة بذواتهم وبناء قارتهم بسواعدهم.

في هذه الظروف، يمكن للمغرب أن يكون من أكبر المستفيدين من هذا التحول الجيوسياسي الحالي في علاقة رابح-رابح من أشقائنا الأفارقة جنوب الصحراء من خلال العمل الذي يقوم به في عدة مجالات. على المستوى السياسي، المغرب يستفيد يوميا من ثمار العودة إلى الحضن الإفريقي، وهو المسار الذي انطلقت فيه الديبلوماسية المغربية منذ مدة. على المستوى الاقتصادي، المغرب يلعب دورا رياديا في توفير بدائل للأشقاء في إفريقيا. بالنظر إلى قطاع الأبناك، فالمؤسسات المغربية استطاعت اختراق عدة أسواق إفريقية وساهمت في رفع جودة الخدمات المقدمة للزبناء في أكثر من بلد، وكذلك هو الشأن بالنسبة لقطاع الاتصالات. على المستوى الروحي، يلعب المغرب دورا أساسيا في نشر النموذج السمح لتعاليم الإسلام عبر الاستثمار في تكوين الأئمة الأفارقة في المغرب، بالإضافة إلى الاستثمار في المنشآت الدينية كالمساجد والمراكز الإسلامية في دول إفريقية عديدة، وهو ما يساهم في التصدي لأطروحات التطرف العنيف التي تنتشر في دول إفريقية عديدة، والتي لا يمكن التصدي لها بالمقاربة العسكرية فحسب. على المستوى الفلاحي، المغرب يفهم دوره الحاسم في رفع نسبة الإنتاج الفلاحي في القارة الإفريقية من أجل الاستجابة للنمو الديمغرافي الكبير الذي تعرفه القارة. حيث قام المغرب بخلق شراكات جديدة عبر المكتب الشريف للفوسفاط في شتى مناطق القارة لتوفير الأسمدة الفلاحية لدول القارة.

> **يستفيد المغرب يوميا من ثمار عودته إلى الحضن الافريقي**

دول إفريقية عديدة ترى في المغرب الأخ الأكبر الذي يمكن الاستفادة من تجربته في ديناميته التنموية. كما أن المغرب قد عبر أكثر من مرة عن استعداده لاقتسام الخبرات والتجارب الناجحة مع الدول الإفريقية من أجل مستقبل مشترك للمنطقة. بل إن المغرب في مبادرته الأخيرة قد دعا دول الساحل إلى الاستفادة من الشريط الساحلي المغربي من أجل الانفتاح الاقتصادي على العالم. في هذا السياق المبني على المستقبل الإفريقي المشترك، أعتقد انه حان الوقت من أجل التخلص من هذا الصديق الثقيل الذي هو فرنسا، وبداية رسم بديل إفريقي جديد يقطع مع النظرة الدونية للذات والتشكيك في قدرات الأفارقة على قيادة إفريقيا، والمغرب سيكون له دور أساسي في جعل هذا الحلم حقيقة.

the Voice صوت المغرب

الصوت هنا... صوت

the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة